الحقيقة الكونية

بين

الدين والعلم التجريبي

الباحث

د/ محمود ماهر عبده سيد

مدرس العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامية بأسوان

جامعة الأزهر

الحقيقة الكونية بين الدين والعلم التجريبي

محمود ماهر عبده سيد
قسم: العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: mahmaher2112@gmail.com

ملخص البحث

الحقيقة الكونية: كل ما تيقن الإنسان معرفته من سنن هذا الكون التي لا تتبدل ، ونواميسه التي لا تتغير ، وقد اصطلح علماء الطبيعة على تسميتها: بالقانون العلمي أو الحقيقة العلمية ، وتتمثل أهمية هذه القضية بالنسبة لمسائل العقيدة في كونها مناط الاستدلال العقلي على وجود الإله جل جلاله ، وعلى أن خالقها هو الرب المعبود وحده ، وعلى ما له من حكمة ، وعلم ، ورحمة ، وقدرة ... ؛ وهذا ما دفعني إلى إلقاء الضوء عليها . وقد ظهر لي من خلال هذا البحث أن الحقيقة الكونية تنبني على أحد أصلين:

إما حقائق علمية ثابتة ــــــ يقيناً ــــــ عن طريق الملاحظة والتجربة .

وإما نص شرعي تؤخذ منه الدلالة ، بصريح لفظ أو مفهوم . وقد وضحت بالبيان التحليلي من خلال ذكر الأمثلة الواقعية: أن الدين والعلم لا يختلفان ولا يتنازعان حول الحقائق التي ينطق بها هذا الكون ؛ بل يتوافقان ويتكاملان ؛ إذ أن الطرق الصحيحة التي تتجه للتعرف على شيء واحد ، لا بد أن تكون نتائجها متطابقة ، أو متكاملة غير متناقضة ، على أقل تقدير ، وهذا ما أثبته العلم نفسه .

وبعد ذلك جاء الحديث عن نقض ما ادعاه الملحدون والعلمانيون من التعارض بين العلم والدين في هذا الجانب ، وقد ناقشت هذه الدعوى وبينت زيفها من خلال محورين رئيسيين: الأول: بيان أصل هذه الدعوى ومنشأها ، والثاني: بيان أهم المغالطات التي يعتمدون عليها .

الكلمات المفتاحية: الحقيقة، الكون، الدين، العلم، التجربة.

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

The universal truth between religion and experimental science

Mahmoud Maher Abdo Sayed
Department: Creed and Philosophy, College of Islamic Studies for Boys in Aswan, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: mahmaher2112@gmail.com

Abstract

The cosmic truth: everything that a person is certain of knowing about the laws of this universe that do not change, and its laws that do not change, and natural scientists used to call it: the scientific law or the scientific truth.

To Him belongs His Majesty, and that its Creator is the Lord who is worshiped alone, and because of His wisdom, knowledge, mercy, and ability…; This is what prompted me to shed light on it. Through this research, it became clear to me that the universal truth is based on one of two foundations:

Either scientific facts that are proven -certainly- through observation and experiment.

Or a legal text from which the significance is taken, with an explicit wording or concept.

It has been clarified by the analytical statement by quoting real examples: that religion and science do not differ and do not dispute about the facts that this universe utters; Rather, they are compatible and complementary; Since the correct methods that tend to identify one thing, their results must be identical, or complementary and not contradictory, at the very least, and this has been proven by science itself.

Then came the talk about reversing what atheists and secularists claimed about the conflict between science and religion in this aspect, and I discussed this claim and demonstrated its falsity through two main axes: the first: a statement of the origin and origin of this claim, and the second: a statement of the most important fallacies on which they rely.

key words:Truth - the universe - religion - science - experience.

المقــدمة

إن الحمد لله تعالى ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (١).

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } (٢).

وبعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أما بـــعــــــد

فإن كلمة الحقيقة إذا أطلقت: فإنها تعني: كل أمر يقيني مطابق للواقع ، ولكنها قد تقيد بنوع معين من أنواع المعارف اليقينية ، فهنا تحمل الحقيقة معنى جزئيًّا أو نسبيًّا ، فيجري ، الحديث ، في إطار المعرفة العلمية –مثلاً– عن أمر هو الحقيقة العلمية ، ومن بعدُ تتفرع هذه الحقيقة الى حقائق علمية عديدة ، كالحقيقة الفيزيائية ، والحقيقة الرياضية ، ويمتد المجال ليشمل حقولاً معرفية أخرى، كالحقيقة التاريخية والحقيقة الدينية ، وغيرهما ، والذي يعنينا هنا هو: الحقيقة الكونية، وكيفية استنتاجها من ثوابت العلم ونصوص الوحي.

---

(١) سورة آل عمران (١٠٢) .

(٢) سورة الأحزاب (٧٠-٧١) .

والحقيقة الكونية هي: كل ما تيقن الإنسان معرفته من سنن هذا الكون التي لا تتبدل ، ونواميسه التي لا تتغير ، وقد اصطلح علماء الطبيعة على تسميتها: بالقانون العلمي أو الحقيقة العلمية .

ومن هذه السنن ما هو بَيِّنٌ ، لا يحتاج إلى دليل علمي ولا نص شرعي، كحرارة الشمس ، وطلوعها من مشرقها ، وغروبها من مغربها ، ومنها ما لا يمكن إدراكه إلا ببحث متعمق وطول نظر، مع التسلح بالأدوات العلمية المعينة على ذلك ، كمعرفة أطوار الجنين، وكروية الأرض ، وأوقات الكسوف والخسوف ، وغير ذلك .

وتبنى هذه الحقيقة على أصلين:

- إما حقائق علمية ثابتة – يقيناً– عن طريق الملاحظة والتجربة.
- وإما نص شرعي تؤخذ منه الدلالة ، بصريح لفظ أو مفهوم ؛ فالدين الحق لا يتنافى ولا يتعارض – أبدًا – مع الحقائق الكونية لأن مصدرهما واحد .

ونحن لا نعني بذلك أن نصوص الوحي المطهر قد أنزلها الله ليقرر نظريات علمية ، أو يعلن عن مكتشفات كونية ، ولكن في مقام هداية الخلق على وجوده تعالى ووحدانيته ، وتعريفهم بكمال علمه وقدرته: أتى بآيات تُفهم منها حقائق كونية كشف العلم الحديث براهينها وأماط اللثام عنها ، فكان ذلك برهانًا جديدًا على أن ذلك الوحي من عند الله عز وجل .

فنصوص الوحي لم تذكر هذه الحقائق الكونية على أنها مقصودة لذاتها ؛ ولكنها دعوة عملية للإيمان بالله ، من منطلق أن كل ما نشاهده في هذا الكون: خاضع للنظام الدقيق وللعناية الفائقة ، ولرحمة الرحمن بعباده .

أسباب اختيار الموضوع وأهميته

ولقد وقع اختياري لهذا الموضوع للأسباب الآتية:

أولاً: أهمية هذه القضية بالنسبة لمسائل العقيدة، من حيث دلالتها على الصانع وبيان كمال علمه وقدرته عز وجل ؛ فهذه الحقائق الكونية هي مناط الاستدلال العقلي على وجود الإله ، وعلى أن خالقها هو الرب المعبود وحده، وعلى ما له من حكمة ، وعلم، ورحمة، وقدرة...؛ لذا نجد القرآن الكريم كثيراً ما يقرر عقيدة الألوهية وغيرها من العقائد من خلال ذكر مثل هذه الحقائق الكونية .

قال تعالى: {أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }[١].

وقال جلت حكمته:**{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ}**[٢].

ثانياً: ما في إبراز السبق الديني للعلم الحديث في هذا الجانب ما يؤكد على إعجاز الوحي وسلامته من كل تحريف أو تغيير، وصدق الرسول المبلغ به صلى الله عليه وسلم ، وعلى حد عبارة الطبيب الفرنسي موريس بوكاي: " فلوكان كاتب القرآن إنساناً ، كيف استطاع في القرن السابع من العهد المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة ؛ فليس هناك مجال للشك في أن نص القرآن الذي نملكه اليوم هو – فعلاً- نفس النص الأول"[٣].

---

(١) سورة النمل (٦١) .

(٢) سورة الحج (٥) .

(٣)القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة للدكتور موريس بوكاي صـــ ٥٢ ، ط مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ثانية ، ٢٠٠٤ م .

ثالثاً: ما زعمه الملحدون والعلمانيون من وجود التعارض بين حقائق العلم ونصوص الوحي التي تتحدث عن الكون ؛ محاولين بذلك أن يثبتوا أن العلم يدعم الإلحاد ، ويدعو إليه ، وأن الأديان ليست مبنية إلا على الأوهام المنافية للحقائق العلمية ؛ لطعن الدين من أساسه ، ونسف قواعده القائمة على الحق ، فأردت أن أبين زيف هذه الدعوى وبطلانها من خلال التأكيد على توافق العلم والدين وتكاملهما في هذا الجانب ، على أرض الواقع .

ونظراً لأهمية هذه القضية من الناحية العقدية فقد قررت – بعد استخارة الله تعالى – أن تكون مادة بحثية تحت عنوان:

"**الحقيقة الكونية بين الدين والعلم التجريبي**"

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يندرج في مقدمة ، وأربعة مباحث ، وخاتمة .

أما المقدمة: فتشتمل على أسباب اختيار لموضوع وأهميته ، وخطة البحث .

وأما المبحث الأول: فيشتمل على التعريف بالمفاهيم الأساسية للبحث .

وأما المبحث الثاني: فيشتمل على مصادر الحقيقة الكونية .

وأما المبحث الثالث: فيشتمل على العلاقة بين الحقيقة الدينية والعلمية .

وأما المبحث الرابع: نقض دعوى التعارض بين الحقائق .

وأما الخاتمة: فتشتمل على أهم نتائج البحث .

المبحث الأول
المفاهيم الأساسية: الحقيقة ، الدين ، العلم

أولاً: تعريف الحقيقة:

الحقيقة في اللغة مأخوذة من حق يحق حقا وحقيقة ، قال ابن فارس : "وهو يدل على إحكام الشيء وصحته ، فالحق نقيض الباطل ، ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج وحسن التلفيق"(١).

قال ابن منظور: يقال: حق الشيء إذا وجب وثبت ، ومنه قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ} (٢)، الحَقُّ: نَقِيضُ الْبَاطِلِ ، وَجَمْعُهُ حُقوقٌ وحِقاقٌ ، وحَقّ الأَمرُ يَحِقّ ويَحُقّ حَقّاً وحُقوقاً: صَارَ حَقّاً وثَبت؛ {وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } (٣)، أَيْ: وَجَبَتْ وَثَبَتَتْ ، وحَقّه يَحُقُّه حَقّا وأَحقّه ، كِلَاهُمَا: أَثْبَتَهُ وَصَارَ عنده حقّاً لا يشكّ فِيهِ ، وحقّه وحَقّقه: صدَّقه ، وحقّق الرجلُ إِذا قَالَ هَذَا الشَّيْءُ هُوَ الحقّ كقَوْلِكَ صدَّق(٤)

وحقيقة الشيء ، وحَقّ الأَمرَ ، يحُقّه حَقًّا وأَحقّه: كَانَ مِنْهُ عَلَى يَقِينٍ؛ تَقُولُ: حَقَقْتُ الأَمر وأَحْقَقْته إِذَا كُنْتَ عَلَى يَقِينٍ مِنْتهاه وأصله المشتمل عليه(٥).

---

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ١٥/٢، ط دار الفكر ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، سنة: ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

(٢) سورة غافر (٦) .

(٣) سورة الزمر(٧١) .

(٤) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور ، الأنصاري الرويفعي الإفريقي ٤٩/١٠ ، ط دار صادر ، بيروت ، الطبعة: الثالثة ، عام ١٤١٤ هـ .

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة .

ومن مجموع هذه المعاني اللغوية لكلمة "الحقيقة" يتبين أنها تشمل المعاني الآتية:

- الإحكام ، والصحة .
- غاية الشئ ، ومنتهاه ، وأصله ، وماهيته .
- الصدق ، والتيقن ، والجزم ، والقطع الوجوب ، والثبوت ، واللزوم.

وأما في الاصطلاح فإن "مفهوم الحقيقة": من المفاهيم التي شغلت الفكر الإنساني على مدى تاريخه الطويل ؛ فلا يزال العلماء والمفكرون والباحثون والفلاسفة ، شرقاً وغرباً ، يحولون إلقاء الضوء على هذا المفهوم المهم ، إما بالإيجاب وإما بالسلب .

والواقع أن انشغال كل هؤلاء بفكرة الحقيقة ؛ كان لقيمتها الوجودية والدينية ؛ فمن خلالها تتم معرفة الخالق والمخلوقات ، وأيضاً لقيمتها الأخلاقية والعملية التي يقوم عليها البناء الاجتماعي ، وأخيراً لقيمتها المعرفية الضرورية لتقدم المعرفة ، والعلوم والآداب(١).

لذا قد تنوعت اقوال العلماء والمفكرين في شرح وبيان معنى الحقيقة:

- فالحقيقة عند فلاسفة اليونان: هي المطابقة مع الواقع ، أو الحكم المطابق لموضوعه(٢).

---

(١) ينظر: منزلة الحقيقة في نظرية المعرفة الدينية دراسة في مقاربة محمد أركون للعقل الإسلامي، بحث لضرار بني ياسين صــ [١٢٦٩] ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، العدد: ٤٢ ، ملحق: ١ ، عام ٢٠١٥ .

(٢) يراجع : الحقيقة ، ضمن سلسلة دفاتر فلسفية ، إعداد وترجمة: محمد سبيلا ، وعبد السلام ابن عبد العالي صــ ٦، ط درا توبقال للنشر والتوزيع ، بلقدير ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة: الثانية ، عام ٢٠٠٥م

- وعند فلاسفة المسلمين: مطابقة ما في الاذهان لما في الأعيان[١].
- وقريب من هذين التعريفين كلام الشيخ المناوي حيث قال: "ما به الشيء هو هو كالحيوان الناطق للإنسان ، بخلاف نحو الضاحك والكاتب مما يتصور الإنسان بدونه ، وقد يقال إن ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه حقيقة"[٢]؛ فمعيار الحقيقة في كلا التعريفين: هو مطابقة الواقع .
- وعرفها ابن رشد بأنها: الأمر الثابت بالبرهان اليقيني[٣].
- وفي المعجم الفلسفي لـــــ "لالاند"[٤].

الحقيقة: كل ما هو حق وصدق وواضح .

الحقيقة: ما تمت عليه البرهنة .

الحقيقة: شهادة الشاهد الذي يتكلم عما رآه أو سمعه .

- وأما البراجماتيه[٥]: فلا تعتقد بوجود الحقيقة المطلقة ؛ فحقيقـــة اليوم قد

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين ، الحدادي ثم المناوي ، القاهري صـــ ١٤٤ ، ط عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة: الأولى ، عام ١٤١٠هـــ/١٩٩٠ م .

(٣) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال للوليد محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد ابن رشد ، القرطبي ، الشهير بابن رشد الحفيد صـــ ٣٢ /٣٨ ، دراسة وتحقيق: محمد عمارة ، ط دار المعارف ، الطبعة: الثانية .

(٤) موسوعة لالاند الفلسفية لأندريه لالاند ، تعريب: خليل أحمد خليل بإشراف وتعهد: أحمد عويدات /مادة:حقيقة (vral) ، ١٥٧١/٢ وما بعدها ، ط منشورات عويدات ، بيروت ، وباريس، الطبعة: الثانية ، عام ٢٠٠١ م .

(٥) البراجماتية: مذهب فلسفي نفعي يرى أن الحقيقة توجد من خلال الواقع العملي والتجربة الإنسانية ، وأن صدق قضية ما يكمن في مدى كونها مفيدة للناس، كما أن=

• تصبح خطأ الغد ؛ فالمنطق والثوابت التي ظلت حقائق لقرون ماضية ليست حقائق مطلقه ، بل ربما أمكننا أن نقول: إنها خاطئة ، وإنما تقاس حقيقة الشيء بنتائجه العملية ومنفعته المباشرة ؛ فالحقيقي هو النافع ، وإذا كان الدين أو العلم أو غيرهما ذا فائدة وثمرة فله حقيقة .

يقول ويليم جيمس: "لا يعد صدق الفكرة صفة ملازمة لها ، أو موروثة فيها ، فيحدث الصدق للفكرة ، أي تصبح صادقة بفعل الحوادث ، فليس صدقها في الحقيقة إلا عملية إثبات صدقها ، أو إثبات تحققها ، ولا تستمد صلاحيتها إلا من عملية تأكيد هذه الصلاحية"(١).

"وهذا يعني أن الحقيقة ليست إلا التصور الذي نسيغه ونحققه ، فنجعله صادقًا بتصديقنا إياه ؛ فهي ليست خاصية ملازمة للتصور، ولكنها "حادث" يعرض للتصور فيجعله حقيقيا أو يكسبه حقيقة بالعمل الذي يحققه"(٢).

ويقول أيضاً: "يتضمن المذهب البرجماتي – إذن– القول أن الحقائق يجب أن تكون لها نتائج عملية"(٣).

"وهذا يعني أن عــلامة الحقيقة أو معيــارها: العلم المنتج لا الحكم

=أفكار الناس هي مجرد ذرائع يستعين بها الإنسان لحفظ بقائه ثم البحث عن الكمال . وعندما تتضارب الأفكار فإن أصدقها هو الأنفع والأجدى . [ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة٢/٨٣٤ ، ط الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني ، الطبعة: الرابعة ، عام ١٤٢٠هـ] .

(١) معنى الحقيقة لويليم جيمس ، ترجمة أحمد الأنصاري ، مراجعة: حسن حنفي صـ١٧ ، ط المركز القومي للترجمة ، الجبلاية ، مصر ، عام ٢٠٠٨م .

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف بطرس كرم صـ ٤١٨ ، ط مكتبة الدراسات الفلسفية ، الطبعة: الخامسة ، بدون تاريخ .

(٣) معنى الحقيقة لويليم جيمس صـ ٥٨ .

العقلي ، وأن العمل هو المبدأ المطلق"(١).

ويقول برجسون: "الحقيقة اختراع "شيء جديد" لا اكتشاف "شيء سبق وجوده"(٢).

وكل هذا الكلام يؤكد أن الحقيقة عند البراجماتية ليست شيئاً ثابتاً بذاته؛ بل نحن من يصنعها ، ويضفي عليها قيمتها من خلال المنفعة المترتبة عليها؛ وبذلك تنزل الحقيقة من سموها وتفقد قدسيتها ؛ لتصبح خاضعة للنزعات الفردية والأهواء الشخصية ؛ وهذا صدام كبير مع الواقع ؛ فإن إنكار الحقيقة وتشخيصها حرب على المسلمات العقلية ، والمدركات الحسية الواقعية التي يبني عليها الناس علومهم ومعارفهم ؛ وتلك ردة كبرى إلى عصر السوفسطائيين الذين حاولوا هدم البناء العلمي والأخلاقي .

وحين نستثني تلك النظرة البراجماتية الهدامة لمفهوم الحقيقة: نجد أن بعض التعريفات السابقة يبين لنا ماهية الحقيقة"(اليقين ، والصدق) ، وبعضها يصور لنا علامات الحقيقة: (الوضوح ، والثبات) ، وبعضها يقدم لنا سبيل الوصول إليها:(البرهان ، والدليل) .

كما أن مجموع هذه التعاريف يوضح لنا معايير الوصول إلى مُختَلَف الحقائق ؛ فمعيار الحقيقة في الأمور التي تحيل على الواقع أو تشير إليه: هو التطابق ، ومعيار الحقيقة فيما يتعلق بالقضايا التي لا تحيل إلى واقع محسوس ، كما في الرياضيات أو المنطق الصوري: هو الصدق ، والاتساق، ومعيار الحقيقة في المسائل التي تتعلق بالدين: هو ثبوت النص ، ثبوتاً قطعياً؛ بحيث لا يمكننا أن نتشكك فيه ، ومعيار الحقيقة في مسائل العلم

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم صـ ٤١٧ .
(٢) المرجع السابق صـ ١٨ .

الطبيعي: هو ثبات الظاهرة واضطرادها ، وبلوغها مرتبة اليقين .

ويمكننا أن نجملها كلها في عبارة واحدة فنقول: إن الحقيقة: كل ما ثبت، ثبوتاً قطعياً واضحا ، بحيث لا يشك فيه ، عن طريق دلالة الحس المباشر ، أو الاستنباط العقلي لمعرفة الأمور التي لا تدرك بالحس ، أو عن طريق الوحي الجامع لطرق اكتساب الحقائق التي يأتي بها الدين .

والكونية: نسبة إلى الكون ، وهو في اللغة من التكوين أي: الإخراج من العدم إلى الوجود ، يقال: كون الله الشيء: أخرجه من العدم إلى الوجود، أحدثه ، وخلقه ، وأوجده فكان "كون الله العالم الخلق"(١).

والحقيقة الكونية في الاصطلاح: هي السنن الثابتة التي أودعها الله تعالى في هذا الكون ، وجعلها حاكمة له بجميع مشتملاته ، من: إنسان وحيوان ونبات وجماد(٢).

ثانياً: تعريف الدين

الدين في اللغة: مصدر دان يدين دينا ، دانه ، ودان به ، ودان له ، وقد جاء في اللغة على عدة معان ، بحسب استعمالاته ، وتعديه:

فإن تعدى بنفسه (دانه): يكون بمعنى: ملكه ، وساسه ، وحاسبه ، وجازاه ، ومنه قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} (٣)، أي: يوم الحساب والجزاء .

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد عمر ، بمساعدة فريق عمل ٣/ ١٩٧٣ ، ط عالم الكتب ، أولى ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ .

(٢) ينظر: في سنن الله الكونية للطبيب محمد أحمد الغمراوي ص٧، ط مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى،١٣٥٥هـ /١٩٣٦م، الإسلام والنظر في آيات الله الكونية لمحمد عبد الله الشرقاوي ص١-٢، ط رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

(٣) سورة الفاتحة (٤) .

وإن تعدى باللام (دان له): يكون بمعنى: أطاعه وخضع له ، وجازاه ومنه قوله تعالى: {فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} (١)، أي: العبادة والطاعة.

وإن تعدى بالباء (دان به) ، يكون بمعنى: اتخذه ديناً ، وطريقة ، ومذهباً ، وعقيدة وجازاه ومنه قوله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}(٢)، أي: طريقتكم وعادتكم(٣).

وجملة القول في هذه المعاني اللغوية: أن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ، ويخضع له ، فإذا وصف بها الطرف الأول: كانت أمراً وسلطاناً وحكماً وإلزاماً وإذا وصف بها الطرف الثاني: كانت خضوعا وانقياداً ، وإذا نظرنا إلى الرباط الجامع بين الطرفين: كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة ، أو المظهر الذي يعبر عنها(٤) .

وأما في الاصطلاح: فقد عرفه علماء المسلمين بأكثر من تعريف:

- عرفه التهانوي بأنه: "هو وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إيّاه إلى الصّلاح في الحال والفلاح في المآل ، وهذا يشتمل العقائد والأعمال،

---

(١) سورة الزمر (٢) .

(٢) سورة الكافرون (٦) .

(٣) يراجع: مختار الصحاح لزين الدين ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، الحنفي ، الرازي صـــ ١١٠، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، ط المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا، الطبعة: الخامسة، عام١٤٢٠هـــ / ١٩٩٩م، لسان العرب لابن منظور١٦٩/١٣.

(٤) الدين لمحمد عبد الله دراز ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان صـــ ٣١ ، ط دار القلم ، الكويت ، بدون بيانات أخرى .

ويضاف إلى الله تعالى لصدوره عنه ، وإلى النبي صلى الله عليه وسلم لظهوره منه ، وإلى الأمة لتدينهم وانقيادهم له"[(١)].

- وقال الجرجاني: "الدِّين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم"[(٢)].
- وقال الراغب الأصفهاني: ما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء –عليهم السلام – ليتوصلوا به إلى النعيم الدائم[(٣)].

والملاحظ في هذه التعريفات السابقة: أنها تبين مفهوم الدين الحق ، الذي أنزله الله تعالى ، من غير تحريف بزيادة أو نقصان .

وأما الغربيون: فقد تنوعت تعبيراتهم في بيان مفهوم الدين[(٤)]؛ بحسب اختلاف مشاربهم وأفكارهم ومذاهبهم ، ومن أهم اقوالهم في ذلك ما يلي:

---

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي ٨١٤/١ ، تقديم وإشراف ومراجعة: د/رفيق العجم ، تحقيق: د علي دحروج ، نقل النص الفارسي إلى العربية: د عبد الله الخالدي ، ط مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، الطبعة: الأولى عام ١٩٩٦م .

(٢) التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني صـــ١٠٥ ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـــ /١٩٨٣م .

(٣) تفسير أبو القاسم الحسين بن محمد ، المعروف بالراغب الأصفهانى ٢٩٦/٢ ، تحقيق ودراسة: د محمد عبد العزيز بسيوني ، ط كلية الآداب ، جامعة طنطا ، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـــ / ١٩٩٩ م .

(٤) ينظر: تعريفات الغربيين للدين بتفصيل واستفاضة: الدين لمحمد عبد الله دراز ، ٣٤ –٣٦ ، الأديان والمذاهب تأليف: مجموعة من أساتذة جامعة المدينة العالمية ، ط جامعة المدينة العالمية ٢٣ – ٢٥ ، حوار الأديان الإنسان والدين ٢١– ٢٧ .

- يقول سالمون ريناك: "الدين هو مجموعة التورعات التي تقف حاجزًا أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا"(١).
- ويقول إميل دور كايم: "الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة أي: المعزولة المحرمة، اعتقادات أعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة"(٢).
- ويقول جان جاك رسو: "أرى في الدين ما يضارع – تقريباً – مذهب وحدة الوجود أو الدين الطبيعي الذي يدأب المسيحيون خلطه مع الإلحاد ، أو اللا دين ، الذي يشكل العقيدة المعاكسة"(٣).
- وفي قاموس التراث الأمريكي ، الدين:" الإيمان والشعور بالورع في قدرة فوق الطبيعة ، يُعترف بأنه القدرة الخالقة والمتحكمة في هذا الكون"(٤).
- وفي الموسوعة البريطانية يأتي تعريف الدين: بأنه: علاقة الإنسان بما يعتبره مقدساً أو وحي إلهي"(٥).
- وفي معجم لالاند الفلسفي: جاء تفسير الدين بالمعاني الآتية(٦):

---

(١) الدين لمحمد عبد الله دراز صـــ٣٦ .

(٢) معجم لالاند الفلسفي ١٢٠٦/٣، مادة: دين /(RELIGION) .

(٣) معجم لالاند الفلسفي ١٢٠٥/٣ وما بعدها . مادة: دين /(RELIGION) .

(٤) نقلاً من كتاب حوار الأديان أمام القضاء العالمي (الإنسان والدين) د . م / محمد الحسيني أسماعيل صـــ٢١ ، ط مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤ م .

(٥) نقلاً من المرجع السابق ص٢٤ .

(٦) معجم لالاند الفلسفي ١٢٠٤/٣ ، مادة: دين:(RELIGION) .

١. مؤسسة اجتماعية متميزة بوجود إيلاف من الأفراد المتحدين بأداء بعض العبادات المنتظمة ، وباعتماد بعض الصيغ .
٢. الاعتقاد في قيمة مطلقة لا يمكن وضع شيء أخر في كفة ميزانها ، وهو اعتقاد تهدف الجماعة إلى حفظه .
٣. تنسيب الفرد إلى قوة روحية أرفع من الإنسان ، وهذه ينظر إليها إما قوة منتشرة ، وإما كثيرة ، وإما وحيدة ، هي الله" .

وهذه العبارات وغيرها مما نقل عن علماء الغرب وفلاسفتهم في تعريف الدين ، مع ما فيها من تعارض: تصدق على كل ما يسمى دين سواء كان صحيحاً أو باطلاً ؛ فهي تصور لنا مطلق التدين والاعتقاد في شيء بعينه بغضِّ النظر عن مصدره ومنهجه ، ومدى صحته ؛ ومما لا شك فيه أن كثيرًا من الديانات الخرافية التي هي وليدة الخيالات والأوهام كعبادة الأوثان ، أو الكواكب ، أو الجن ، أو الملائكة ، أو البشر: أنما تندرج تحت هذه النظرة الغربية للدين .

ولعل هذا هو سر نفرة كثير من علماء الغرب ومفكريهم من الدين ، وعداوتهم له ؛ فهناك عشرات التعريفات للدين ، جُلُّها يصور الدين على أنه دعوى بلا برهان ، أو قضية وهمية من اختراع الإنسان ؛ ولا أساس لها في أرض الواقع ، كما أن هذه التعريفات: تتسع لكل الآراء التي تحاول إبعاد الدين عن الحياة ، أو جعله غامضا ، ومتناقضاً ، في فكرته أمام الناس .

ولذلك بدأ الدين ينسحب –تدريجيا– من حياتهم، ويزداد الاقتناع بأن مجاله الوحيد: علاقة الإنسان بمعبوده، في مَعبَدِه فحسب، وأن أثره في إصلاح المجتمع أثر هامشي، كما أن علاقته بحقائق العلم: علاقة التعارض، وعدم الالتقاء .

وكل ذلك مرفوض – رفضاً قاطعاً – عقلاً ونقلاً ؛ فإن الدين الحق ينبغي أن يكون مبنياً على الاعتقادات الثابتة بالبراهين اليقينية ، المبنية على المسلمات الفطرية والحقائق العلمية ، كما أخبرنا الله تعالى بقوله: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا } (١).

وبديهي أن كلمة برهان لا تأتي إلا مقترنة بالحقائق العلمية ، ذات البراهين المحددة ، كالحقائق الفيزيائية والحقائق الرياضية ، والتي تأسست على مفهوم المسلمة العلمية ، وذلك لا يتأتى إلا إذا سلمت أصول هذا الدين وقواعده من التحريف والضياع ، وهذا ما يمتاز به دين الإسلام دون سائر الديانات المحرفة .

قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].

وقال رسولنا الكريم ﷺ "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ"(٢).

فالإسلام هو الدين الوحيد الذي ظل وسيظل محتفظاً بأصوله وقواعده منذ أن أنزله الله تعالى دون تحريف أو تبديل ، وهذا ما شهد به حتى غير المسلمين .

يقـــول مـــوريس بوكـــاي: " هناك فرق جوهري واضح بين اليهودية

---

(١) سورة النساء (١٧٤) .

(٢) أخرجه الحاكم أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم ابن الحكم، الضبي ، الطهماني ، النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ، كتاب العلم ، حديث رقم[٣١٨] ١٧١/١ ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة: الأولى ، ١٤١١ / ١٩٩٠ .

والمسيحية والإسلام ، فيما يتعلق بالكتب المقدسة ، ونعني بذلك فقدان نصوص الوحي الثابت لديهما ، في حين أن الإسلام لديه القرآن الذي هو وحي منزل وثابت معاً"[١].

ويقول المستشرق الأمريكي إيرفنج : "كانت التورة في يوم ما هي مرشد الإنسان وأساس سلوكه ، حتى إذا ظهر المسيح – عليه السلام – اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل ، ثم حل القرآن مكانهما ؛ فقد كان القرآن أكثر شمولاً وتفصيلاً من الكتابين السابقين ، كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل ، حوى القرآن كل شيء ، وحوى جميع القوانين ؛ إذ أنه خاتم الكتب السماوية"[٢].

لذا كان الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتآخى مع حقائق العلم ويدعو إليها ، كما شهد بذلك المنصفون من علماء غير المسلمين .

يقول موريس بوكاي في مقدمة كتابه: "لقد قمت أولا بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة ، باحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث ، وكنت أعرف ، قبل هذه الدراسة ، وعن طريق الترجمات، أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية، ولكن معرفتي كانت وجيزة ، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث"[٣].

---

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص١٤.

(٢) قالوا عن الإسلام لعماد الدين أحمد خليل صـ ٥٠ ، ط الندوة العلمية للشباب الإسلامي ، المملكة العربية السعودية ، أولى ، ١٤١٢ ه/ ١٩٩٢ م .

(٣) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم صـ ١٧.

وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل ، أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي سفر التكوين ، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا في عصرنا ، وأما بالنسبة للأناجيل فما نكاد نفتح الصفحة الأولى منها حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة في مواجهة مشكلة خطيرة ونعنى بها شجرة أنساب المسيح ؛ وذلك أن نص إنجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا ، وأن هذا الأخير يقدم لنا – صراحة- أمرا لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض"(١).

فكما نرى من كلام غير المسلمين: أن الإسلام وحده هو الدين المتوافق مع حقائق العلم الحديث ؛ وذلك لكونه محفوظاً بأصوله وقواعده ، التي أوكل الله تعالى حفظها إليه وحده – عز وجل – وهذا ما سيظهر لنا جلياً، من خلال هذا البحث ، بإذن الله تعالى .

ثالثاً: تعريف العلم:

العلم في اللغة: ما يضاد الجهل ، ويطلق على المعرفة ، والشعور، والإتقان واليقين ، يقال: علمت الشيء أعلمه علما: عرفته ، ويقال: ما علمت بخبر قدومه أي: ما شعرت ، ويقال: علم الأمر وتعلمه: أتقنه(٢).

وأما في الاصطلاح: فقد عرفه علماء المسلمين بتعريفات كثيرة ، منها:

---

(١) المرجع السابق ، نفس الموضع .

(٢) يراجع: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ، أبو العباس ٢/٤٢٧ ، ط المكتبة العلمية ، بيروت .

- أنه: معرفَة الْمَعْلُوم على مَا هُوَ بِهِ(١).
- أنه: صفة توجب لمحلها، تمييزا بين المعاني ، لا يحتمل النقيض(٢).
- أنه صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هي به ، قال الشريف الجرجاني: وهو أحسن ما قيل في الكشف عن ماهية العلم ، ومعناه: أنه صفة يكشف بها لمن قامت به ما من شأنه أن يذكر انكشافا تاما، لا اشتباه فيه(٣).
- أنه: الإدراك الجازم ، الثابت ، المطابق للواقع ، الناشئ عن دليل(٤).

والمتأمل لهذه التعريفات الأربعة: يجد أن المعنى الجامع لها هو:(اليقين) ؛ فأنها جميعاً تستبعد الشك ، الخطأ ، والوهم ، والظن ، والتخمين ، والتناقض ، من الدخول في دائرة العلم ، إلا أن أدقها في التصوير ، وأقربها إلى الأذهان هو التعريف الأخير ؛ فإن الدليل هو مناط التفريق بين العلم وغيره ؛ فكل ما قام عليه دليل فهو العلم ، وهو ثلاثة أبواب: الدين ومصدره: الوحي ، والرياضة ومصدرها: الاستنباط العقلي ،

---

(١) وهو اختيار الإمام الباقلاني. [يراجع: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل لمحمد ابن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضي ، أبو بكر الباقلاني المالكي ص٢٥، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ، ط مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان ، الطبعة: الأولى ، عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

(٢) وهذا اختيار عضد الدين الإيجي [يراجع: المواقف لعبد الرحمن بن أحمد ابن عبدالغفار، أبو الفضل ، عضد الدين الإيجي ٥٦/١ ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، ط دار الجيل ، لبنان ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م] .

(٣) يراجع: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى عبد الله كاتب جلبي ، القسطنطيني ، المشهور باسم: حاجي خليفة أو الحاج خليفة ٤/١ ، ط مكتبة المثنى ، بغداد ، عام ١٩٤١م .

(٤) وهذا تعريف الإمام الجرجاني . [يراجع: التعريفات صـ ١٥٥] .

والطبيعة ومصدرها: الاستقراء التام لجميع أحوال الظاهرة ، موضوع الدراسة ، فهذه الثلاثة تسمى علمًا ؛ لوجود الدليل عليها ، وما سواها فليس كذلك .

العلم التجريبي:

درج علماء الغرب – في العصر الحديث – على حصر معنى العلم في المعرفة الناشئة عن الإدراكات الحسية القائمة على الملاحظة والتجربة .

ففي معجم لالاند: العلم: "منظومة ملاحظات تسمح بتصنيف الظواهر ، وتوقعها"(١).

وفي قاموس ويستر الجديد: هو المعرفة المنسقة ، التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب ، والتي تتم بغرض تجديد طبيعة أو أسس أو أصول ما تتم دراسته ، إنه فرع من فروع المعرفة أو الدراسة ، خصوصا ذلك الفرع المتعلق بتنسيق وترسيخ الحقائق والمبادئ والمناهج بوساطة التجارب والفروض(٢).

فمفهوم العلم – لديهم– ليس مطلق المعرفة الثابتة بالدليل ، وإنما المعرفة الناشئة عن الملاحظة والتجربة ، وبعبارة أخرى: المعرفة التي تستخدم الوسائل الحسية في موضوعها .

ولعل المرجع في هذه النظرة القاصرة: أن الله تعالى قد كشف للبشرية الكثير من أسرار هذا النوع من المعرفة ، في القرون الثلاثة

---

(١) معجم لالاند الفلسفي ، مادة :علم (science) ، ١٢٥٢/٣ وما بعدها .

(٢) نقلاً من: البحث العلمى أساسياته النظرية وممارسته العملية لرجاء وحيد دويدري صـــ٢٣، ط دار الفكر، دمشق ، سورية ، الطبعة: الأولى ، جمادى الآخرة عام ١٤٢١هــ/ سبتمبر ٢٠٠٠م .

الأخيرة، وكان لأوروبا شأنًا كبيرًا في رعايته وتطويره بصورة لم يعرف البشر لها مثيلًا ؛ فأصاب طائفةً منهم غرورٌ عظيم ؛ فكفروا بكل ما سواه من المعارف، ووقعوا في أعظم صور الإلحاد ، فأهملوا الدين وجحدوا شأن الآخرة، فانطبق فيهم قول الحق سبحانه: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}[(١)].

وحصر المعرفة الإنسانية في العلوم الحسية التجريبية: يعد انهياراً تاماً لأركان العلم ، وتناقضاً مع العلم ذاته ؛ "فأن اليقين في المعرفة ليس مرتبطًا بالتجربة، بدليل أن المعارف الرياضية في الحساب، والجبر، والهندسة –مثلاً– معارف يقينية، وهي مع ذلك ليست وليدة التجربة الحسية وملاحظتها"[(٢)].

كما أنه ضياع للمفاهيم الدينية والعلمية الراسخة منذ آلاف السنين ؛ "فإن اختلال مفهوم كلمة العلم ، والتي كانت تعنى في تراثنا: الإدراك الجازم المطابق للواقع الناشئ عن دليل ، والذى شاع استعماله الآن في مقابلة ترجمة اللفظة الانجليزية(Science) ، ومعناها: العلم المدرك بالحس ، دون غيره من وسائل الإدراك العقلية أو السمعية ، مما أدى إلى القول بأن مسألة الألوهية: مسألة غير علمية ، مما يوقِع في نفس السامع العامي أنها جهل ، حيث إن ضد العلم: الجهل ، ولقد أدى هذا إلى تشويه كثير من المفاهيم مثل: الحضارة ، والدين ، والتراث ، والحكومة ، وغيرها"[(٣)].

---

(١) سورة غافر (٨٣) .

(٢) الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة للدكتور/ محمد البهي صـ٣٤ ، ط مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر، الطبعة: الأولى ، عام ١٤٠١ هـ /١٩٨١ م .

(٣) المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم للأستاذ الدكتور/علي جمعة محمد (مفتي الديار المصرية) ص٧ ، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، الطبعة: الأولى ، عام ١٤١٧هـ /١٩٩٦م .

فبالدليل والبرهان: يكون الفرق بين العلم وغيره ؛ فإن هناك معارف إنسانية ارتبطت بالعقل ، مثل العلوم الدينية ، والعلوم الدنيوية ، والفنون والآداب والفلسفة ، فما كان له دليل فهو العلم ، وإلا فلا .

يقول ابن خلدون: "اعلم أنّ العلوم الّتي يخوض فيها البشر ويتداولونها على صنفين: صنف طبيعيّ للإنسان يهتدي إليه بفكره ، وصنف نقليّ يأخذه عمّن وضعه ، والأوّل هي العلوم الحكميّة الفلسفيّة وهي الّتي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشريّة إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ، حتّى يوقفه نظره وبحثّه على الصّواب من الخطأ فيها ، والثاني هي العلوم النّقليّة الوضعيّة ، وكلّها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشّرعيّ ، ولا مجال فيها للعقل إلّا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول[(١)].

ومن خلال العرض السابق ذكره في تعريف الحقيقة ، والدين ، والعلم: يظهر لنا – جلياً – أن الرباط الجامع بين كل هذه المصطلحات هو البرهان اليقيني ؛ فإن كلمة " علم" لا تستخدم إلا في ما ثبت بالبرهان والدليل ، وكلمة "حقيقة" لا يتسمى بها إلا ما قام الدليل على صحته ، وكلمة "دين" لا تطلق –على الحقيقة – إلا على المعتقدات اليقينية الثابتة بالبراهين النقلية والعقلية .

---

(١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون ، أبو زيد ، ولي الدين ، الحضرمي ، الإشبيلي ٥٤٩/١ بتصرف يسير جداً ، تحقيق: خليل شحادة ، ط دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الثانية ، عام ١٤٠٨ هــ / ١٩٨٨ م .

المبحث الثاني
مصادر الحقيقة الكونية

تمهيد

أن معرفة المصادر المعتمدة في إثبات الحقائق الكونية ، وتحديد التصور الدقيق لكل مصدر: أمر من الأهمية بمكان ؛ فإن التصورات الخاطئة في هذا الجانب: تؤدي بنا –حتمًا– إلى نتائج متضاربة وغير حقيقية، وهذا ما وقع من بعض أهل الأهواء وضعفاء العقول لما صاروا يتلمسون بعض الاجتهادات التي أخطأ فيها فريق من علماء المسلمين عند تفسيرهم لبعض الآيات الكونية، كإنكارهم –مثلاً– كروية الأرض ، لنصوص تصرح بأنها مسطحة وممدودة[1]، كما في قوله تعالى: {وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}[2]، فتلقف المتنكرون للأديان مثل هذه الأقوال الشاذة ، وأخذوا يبرزونها على أنها من حقائق الدين في فهم الكون ، كما أخذوا يبحثون عن كل فرض علمي مخالف للحقائق والمعتقدات الدينية ، ويبرزونه على أنه حقيقة علمية مسلم بها ؛ محاولين بذلك أن يثبتوا تناقضاً بين حقائق الدين ، وبين الحقائق التي تأتي بها الوسائل الإنسانية للبحث العلمي ، لطعن الدين من أساسه ، ونسف قواعده القائمة على الحق .

---

(١) صرح بمثل هذه الأقوال، كنفي كروية الارض ودورانها ، بعض علماء الأمة المعتمدين كالإمام القرطبي ، والشوكاني ، وأبو حيان الأندلسي وغيرهم .[يراجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٠/١٣، فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ١٥١/٣ ، ط دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، الطبعة: الأولى ، عام ١٤١٤ هـ ، البحر المحيط في التفسير لابي حيان محمد ابن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين ، الأندلسي ١٠/٢٨٤ ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، ط دار الفكر ، بيروت عام: ١٤٢٠ هـ] .

(٢) سورة الغاشية (٢٠) .

ومن أجل ذلك فلابد من بيان هذه المصادر ، والوقوف على ماهيتهما الحقيقية ، وهذا ما سوف نبينه في السطور التالية ، بإذن الله تعالى .

تنبني الحقيقة الكونية على أصلين عظيمين وسراجين منيرين:

أولهما: كل ما جاء في نصوص الوحي المحكمة من أنباء عن واقع كوني ، باستطاعة الوسائل الإنسانية أن تصل إلى معرفتها ، على ما هي عليه في الواقع ، ولو بعد حين(١).

ويجدر بنا هاهنا: أن ننبه على أمرين في غاية الأهمية:

الأول: أنَّ اكتفائنا في حَدِّ هذا المصدر بالنص المحكم: ليس يعنى أن النص المتشابه ليس من حقائق الدين ، وإنما عنيت: أنه ليس من أطراف الحقيقة التي يمكننا مطابقتها بالواقع ؛ لكوننا لم نستطع أن نصل إلى معناه الحقيقي ، ففوضنا علمه لله عز وجل ، كما جاء في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}(٢) ؛ لذا قال الإمام ابن عباس رضي الله عنه: "إن

---

(١) يراجع: صراع مع الملاحدة حتى العظم لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي صـــ٢٩ ، ط دار القلم ، دمشق ، الطبعة: الخامسة ، ١٤١٢ هـــ / ١٩٩٢ م ، الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية لمحمود أحمد شوق صـــ ١٤٦ ، ط دار الفكر العربي ، عام ١٤٢١هــ/ ٢٠٠١م .

(٢) سورة آل عمران (٧) .

التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله"(١).

والثاني: أن كل ما جاء من تراث شرح وبيان نصوص الوحي: سبيل للوصول للحقيقة الدينية ، وليس ذات الحقيقة ؛ ففهم النص الديني عمل اجتهادي إنساني ، وهذا الفهم الإنساني للنص قد يصيب وقد يخطئ ، فإذا أخطأ الاجتهاد في الفهم فليس معنى خطئه أن النص هو المخطئ ، ولكن المخطئ هو الإنسان غير المعصوم ، الذي اجتهد في فهم معنى النص ، وفي هذه الحالة علينا أن نراجع فهمنا للنص ، ونعيد تدبُّرنا له ، حتى نصل إلى المعنى اليقيني(٢).

كما أن الفهم الدقيق للآيات الكونية: قد يظل خفيا على جميع الناس ، عالمهم وجاهلهم على حد سواء ، حتى يفتح الله – تعالى – لهم من الوسائل العلمية ما تستطيع عقولهم أن تستوعب به جوهر الحقيقة الكامنة المستفادة من نور الوحي .

ومثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: {بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}(٣) ؛ حيث جاء في تفسيره عن السلف الصالح قولان:

---

(١) مقدمة تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، القرشي ، البصري ، ثم الدمشقي ١/١٤ ، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ، ط دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ، عام ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .

(٢) يراجع: كواشف زيوف لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة ، الميداني الدمشقي صـ١٩٤، ط دار القلم ، دمشق ، الطبعة: الثانية ، عام ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م ، تفسير الشعراوي المسمى بالخواطر للشيخ محمد متولي الشعراوي ، ط مطابع أخبار اليوم ، بدون بيانات أخرى .

(٣) سورة القيامة (٤) .

أولهما: أن المراد: أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحداً كخف البعير، أو كحافر الحمار، أو كظلف الخنزير، ولا يمكنه أن يعمل به شيئا، ولكنَّا فرقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء، وهذا قول جمهور السلف[١].

والثاني: بلى قادرين على أن نعيد السُلَاميات[٢]، على صغرها، ونؤلف بينها حتى تستوي[٣].

وبعد أكثر من ألف عام يمدنا العلم بحقيقة كونية تبين لنا دقة ما تصوره لنا آية تسوية البنان[٤]؛ حيث كشف العلم الحديث أنَّ لكل إنسانٍ

---

(١) يراجع: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ٩٤/١٩، تحقيق: أحمد، البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ عام: ١٩٦٤ م.

(٢) السلاميات بضم السين وفتح اللام والميم: جمع سلامية، وهي الأنملة من الأصابع، وقيل: واحده وجمعه سواء، وتجمع على سلاميات، وهي التي بين كل مفصلين من أصابع الإنسان، وقيل: السلامى كل عظم مجوف من صغار العظام.[ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير٣٩٦/٢، ط المكتبة العلمية، بيروت، عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، لسان العرب ١٢/ ٢٩٨].

(٣) المرجع السابق، نفس الموضع.

(٤) ليس معنى هذا أن تفسير السلف الصالح – رضي الله عنهم – متعارض مع ما جاء به العلم؛ بل إن القول الثاني من أقوالهم: فيه إشارة واضحة إلى ما جاء به العلم الحديث. والذي يجمع بين التفسيرين: أن كلًّا منهما يؤكد أن تخصيص البنان بالذِّكْرِ يدل على أن مَن أعاد خلقها فهو أقدر على إعادة خلق غيرها من بقية الأعضاء، وإن اختلف التعليل عند هؤلاء وأولئك؛ فالسلف قدروا العلة في صغر البنان ولطافتها ودقة عظامها، وعللها العلم الحديث بأن لكل بنان بصمة خاصة به من بين جميع البشر،=

بصمة تخصُّه ، لا يمكن أن يشاركه فيها أحدٌ ، وإنَّ احتمال تَشَابَهَ البصمتين بواقعِ المصادفة: واحدٌ مِن أربعةٍ وستينَ ملياراً ؛ أي إذا كان في الأرضِ أربعةٌ وستون مليارَ إنسانٍ ، فهناك احتمالٌ واحدٌ أنْ تأتيَ البصمتانِ متشابهتان ، وعددُ سكانِ العالَمِ ستة ملياراتٍ فقط(١).

ولحكمةٍ إلهيةٍ بالغةٍ لم يفسِّر النبيُّ صلى الله عليه وسلم مثل هذه الآياتِ ؛ إمّا باجتهادٍ منه ، أو بتوجيهٍ مِن اللهِ جلّتْ حكمتُه ؛ لأنّه لو فسَّرها على نحوٍ يناسِبُ فهْمَ مَن حَوْله كان ذلك حجراً على كل حقيقة تكشف لمن سيأتي بَعْدَه ، ولو فسّرها تفسيرًا يفهمُه مَن سيأتي بَعْده لاستَغْلَقَ هذا التفسيرُ على مَن حَوْله(٢).

"لذلك نرى القرآن الكريم لم يفرغ عطاءه كله في القرن الذي نزل فيه ، فلو فعل ذلك لاستقبل القرون الأخرى بغير عطاء ؛ فالعقول تتفتّح على

=وفي الأمر سَعَة لتعليل الكل ، والله أعلم . [يراجع: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ٦٢٦/٢ وما بعدها ، ط إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م] .

(١) القرآن وإعجازه العلمي لمحمد إسماعيل إبراهيم صـ ١١١، ط دار الفكر العربي ، دار الثقافة العربية للطباعة ، الإعجاز العلمي إلى أين ؟ ، مقالات تقويمية للإعجاز العلمي للدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار صـ ٨٦ ، ط دار ابن الجوزي ، الطبعة: الثانية ، عام ١٤٣٣ هـ .

(٢) يراجع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة للدكتور محمد راتب النابلسي ١/٤ –٥ ، ط دار المكتبي ، سورية ، دمشق ، الحلبوني ، جادة ابن سينا ، الطبعة: الثانية ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥ م ، وانظر أيضاً: الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية صـ١٤٧ .

مَرِّ العصور وتتفتّق عن فكر جديد ، ولا يصح أنْ يظلَّ العطاء الأول هو نفسه لا يتجدد ، لا بُدَّ أن يكون لكل قرن عطاء جديد يناسب ارتقاء البشرية في علومه الكونية"(١).

فالحاصل: أن قول المفسر أو اجتهاد العالم: هو أحد العوامل التي تجلي لنا الحقيقة الكونية الواردة في نصوص الوحي المطهر، وتعيننا على فهمها ، ولكنه ليس ذات الحقيقة ؛ فإن المجتهد قد يصيب وقد يخطئ ؛ ولا ينبغي أن نحمل النص الديني ذلك الخطأ الذي أدى إليه اجتهاد المجتهد ، بحسب الوسائل الإنسانية المتاحة لديه ، ومن بديع حكمة المولى عزو جل أن أبدى لكل أهل عصر – في نصوص الوحي– ما يناسب فهمهم وثقافتهم والوسائل العلمية المتاحة في أيديهم ، وهنا يتجلى قول الحق جل وعلا: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}(٢).

وثانيهما: هو كل ما ثبت بدلالة قاطعة غير قابلة للشك ، عن طريق الوسائل الإنسانية الحديثة .

وهاهنا لابد من المحاذرة الشديدة ؛ فإن الانقياد الأعمى لكل ما نسب إلى العلم دون تمحيص الحقيقة منه عما عداها: لتناقض كبير مع مدلول العلم ذاته ؛ لما بينا سابقاً أن العلم يدور مع الدليل وجوداً وعدماً ؛ لذا وجب علينا التفريق بين ما هو في طور البحث والدراسة ؛ ولا يزال يتأرجح بين الظن واليقين ، وبين ما هو ثابت بالبرهان القاطع .

فـــالأول: هو النظريـــة المحتملـــة للخطأ والصواب ، وهي عبارة عن

---

(١) تفسير الشعراوي١٣/٨١٥٢ .

(٢) سورة فصلت (٥٣) .

مجموعة من التصورات والفروض التي تفسر ظاهرة معينة ، افتراضياً ، قابلاً للتغيير[١].

سنأخذ مثالاً على ذلك: بالإشارة إلى نظرية بطليموس ، لتفسير حركة النجوم والكواكب ، وتطور تلك النظرية على يد كوبرنيق وكبلر[٢].

- فقد ذهب بطليموس إلى القول بأن الأرض ثابتة في مركز الكون ، وإن الأجرام السماوية كافة تدور حولها في مدارات دائرية متقاطعة .
- وبعد ذلك جاء كوبرنيق فقلب هذه النظرية رأساً على عقب ؛ حيث قال بأن الشمس هي الجرم الثابت في مركز الكون ، وأن الأرض هي التي تدور حولها .
- ومن بعدهما يأتي: كبلر ليجري على هذه النظرية تعديلاً آخر ، لسنا بحاجة إلى ذكره حتى لا يطول المقام ؛ لأن هدفنا ليس تفاصيل النظرية، وإنما الإشارة إلى تغيرها من وقت لآخر ، بخلاف الحقيقة العلمية الثابتة.

والثاني: هو الحقيقة العلمية: وهي كل ما توصل إليها العلم عن طريق الأدلة الحسية اليقينية (عين اليقين) أو البراهين العقلية الصحيحة (حق اليقين)، وبعبارة أخرى: هي كل مسألة وقعتْ تحت التجربة ، وثبت صدقها عملياً ، ووثقنا أنها لا تتغير في جميع الأحوال[٣].

ومثال ذلك: مسألة كروية الأرض .

---

(١) الاستقراء والمنهج العلمي للدكتور/ محمود فهمي زيدان صـ ١٥٠ ،ط دار الجامعات المصرية ، عام ١٩٧٧ م ، في سنن الله الكونية صـ٦ .

(٢) الاستقراء والمنهج العلمي صـ١٥٠

(٣) يراجع: في سنن الله الكونية صـ ٦ ، تفسير الشعراوي ٩٥٢٠/١٥ ، لمحات في الثقافة الإسلامية لعمر عودة الخطيب صـ ٢٢٢ ، ط مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الخامسة عشرة ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م .

فقد استدل العلماء بالعديد من الظواهر الطبيعية التي تؤكد على صحة هذه الحقيقة منها ما يلي:

١- استدارة حدّ ظل الأرض حتى يقع على سطح القمر في أوقات كسوفه.

٢- رؤية الأفق دومًا على هيئة دائرة تامَّة الاستدارة، واتَّساع دائرته بارتفاع الرَّائي فوق سطح الأرض .

٣- ظهور قمم الجبال البعيدة قبل سفوحها بتحرك الرائي إليها، واختفاء أسافل السفن قبل أعاليها في تحركها بعيدًا عن الناظر إليها .

٤- انها ليس لها حافة تنتهي عندها ؛ فلو كانت الأرض على أي شكل آخر غير الكروي مثل: المربع أو المثلث أو المستطيل: لكان لها حافة. وهذا ما أثبته – بالفعل – ماجلان وبحارته برحلتهم البحرية التي قاموا بها سنة ١٥٢٢م(١).

٥ وبعد صعود الإنسان إلى الفضاء صارت كروية الأرض أمراً مرئيا، من خلال السفن الفضائية ؛ فأضحى الأمر حقيقة علمية لا شك فيها ولا التباس ؛ فليس مع العين أين ، كما تقول الحكمة المشهورة .

فالحاصل: أن النظرية العلمية: مسألة محلّ بحث ودراسة ولم تثبت بَعْد؛ لذلك يقولون: هذا كلام نظري أي: يحتاج إلى ما يؤيده من الواقع ، أمّا الحقيقة العلمية: فمسألة وقعتْ تحت التجربة ، وثبت صدقها عملياً ووثقنا أنها

---

(١) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة لمحمد محمود محمدين ، طه عثمان الفراء صــ ١١٠ ، ط دار المريخ ، ردمك ، الطبعة: الرابعة ، قصة الحضارة لــ ول ديورَنت ١٣٩/٢٧ ، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر ، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرون ، ط دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٤٠٨ هــ / ١٩٨٨ م .

لا تتغير .

وخلاصة كل ما سبق: أن الحقيقة الكونية: هي كل معرفة يقينية ، غير قابلة للشك أو التردد ، ولا يمكننا تحصيل هذا النوع من المعرفة إلا من أحد هذين الطريقين:

الأول: هو الوحي الجامع للمعارف التي يأتي به الدين ؛ فهو أساس الحقيقة وأول أطرافها ، وهذا لا يتحقق إلا في دين الإسلام ، الذي تتبني أصوله على قواعد فطرية وعقلية سليمة ؛ ولهذا قال المولى عز وجل: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}(١).

والثاني: هو المعارف البشرية المقطوع بصحتها ، من خلال البراهين التي تدل عليها ، كدلالة الحس المباشر، القائم على المشاهدة والتجربة ، أو دلالة العقل لاستنباط المعارف التي لا تُدرك بالحس المباشر ، فهذا هو الطريق الآخر من طرق تحصيل الحقيقة

(١) سورة آل عمران (١٩) .

المبحث الثالث
العلاقة بين الحقيقة الدينية والعلمية

من خلال العرض السابق لمصادر الحقيقة الكونية ، وبيان الحدود التي تفصلهما عن غيرهما: يظهر لنا – بوضوح شديد – أن العلاقة بينهما علاقة اتساق وتكامل ، وليس تنافي وتعارض ؛ إذ أن مبنى كلتا الحقيقتين على اليقين ، ولا يمكن للأمور اليقينية أن تتعارض أو يتنافى بعضها مع بعض ؛ فهما يلتقيان عند نقطة واحدة وإن تعددت طرق الوصول .

فإن وسائل العلم الإنسانية ، المتمثلة في الإدراك الحسي بما يرافقه من الأدوات والآلات التي تثبت صحة شهاداتها كالملاحظة والتجربة ، والمقاييس ، والموازين ، والكواشف المختلفة ، وما يتبع ذلك من استنتاجات عقلية: تقدم لنا شهادة بما توصلت إليه من نتائج نحو الحقيقة ، كما إن الوحي الجامع للمعارف الدينية ، هو – أيضاً – يقدم شهادة بالحقيقة ؛ لأن برهان العقل قد أثبت لنا أن ما يخبرنا به الرسول صدق وحق ؛ والطرق الصحيحة التي تقصد أمراً واحداً لا بد أن توصل إلى نتيجة واحدة ، أو غير متناقضة على أقل تقدير، وبذلك تتكامل الحقيقة مما قدمت هذه الطرق من مدركات يقينية .

يقول الدكتور الفندي: "لقد شاءت إرادة الخالق –جل شأنه – أن يتخذ في الكون أعجب النظم ، وأروعها لإظهار آياته ، وهي نظم وآيات أقرب ما تكون لفهم المتخصصين من العلماء الذين اتخذوا من الكون مَعْلَمًا لَهُمْ ، وَعِندما تكلم الخالق في القرآن الكريم ، وهو كتاب الله المقروء ، كان من الطبيعي أن يستمد أمثلته وحكمه من الكون الذي هو كتاب الله المنظور، وليس من المعقول أن يخالف الكلام العمل ؛ فلا يمكن أن يتحدث القرآن الكريم عن ظاهرة كونية كالسحاب أو السماء أو الرياح بطريقة تخالف ما

نراه ، وما نلمسه بالعقل"[١].

ويقول الطبيب الفرنسي موريس بوكاي: تناولت القرآن ، منتبها بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعية كمسألة الخلق ، وعلم الفلك ، والموضوعات الخاصة بالأرض ، وعالم الحيوان ، وعالم النبات ، فأذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات ، وهي تفاصيل لا يمكن أن تدرك إلا في النص الأصلي ، أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن هذه الظاهرات نفسها ، والتي لم يكن ممكنا لأي إنسان في عصر محمد ﷺ أن يُكَوّن عنها أدنى فكرة ! وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة ، لا نكتشف في القرآن أي خطأ[٢].

والشواهد الواقعية خير دليل على هذه الحقيقة التي أقر بها المنصفون من غير المسلمين في حق القرآن الكريم ؛ فإن المتأمل لكثير من الحقائق الكونية التي كشفها العلم الحديث: يجد أن نصوص الوحي قد تحدَّثت عنها بطريقة غير مباشرة، وبصياغة ضمنيّة لطيفة، ولكنها في نفس الوقت بالغة الدقة والإحكام، والوقائع في هذا الباب كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

كروية الأرض:

فكما ساهم العلم في إثبات هذه الحقيقة ، حتى أضحت – في زماننا– من الأمـــور البدهية[٣]، فقد دل الوحي المطهر عليها ، ولفت الأنظار إليها ، في

---

(١) أصول الدعوة وطرقها لمجموعة من المؤلفين لمناهج جامعة المدينة العالمية صـ ٢١١ ، مرحلة: بكالوريوس ، ط جامعة المدينة العالمية .
(٢) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم صـــ١٥١.
(٣) ذكرت الأدلة العلمية على كروية الارض آنفاً ص١٨٦١ فلا حاجة لتكرارها هاهنا مرة أخرى .

عدة مواضع من القرآن الكريم ، منها ما يلي:

١. قوله تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ}(١).

فالتكوير في اللغة : هو اللف والإدارة ، قال الراغب: "كَوْرُ الشيءِ: إدارته وضمّ بعضه إلى بعض ، كَكَوْرِ العمامةِ"(٢).

فمعنى قوله تعالى: { يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ}، أي: يغشى كل واحد منهما الآخر، كأنه يلفّه عليه ، وهو وصف واضح الدلالة على كروية الأرض ، وعلى دورانها حول محورها أمام الشمس ؛ فإن تكور الليل والنهار وتعاقبهما: إنما حدث بتكور الأرض ودورانها ؛ ولو كانت منبسطة غير متكورة: لزم أن يكون إشراق الشمس على الأرض كلها في لحظة واحدة ، ثم تغيب عن الأرض كلها، فتكون الأرض كلها قريب اثنتي عشرة ساعة في ظلام دامس ، وهذا غير واقع وغير صحيح ، أما إذا كانت كروية فإن معنى ذلك أن النهار يدفع الليل ، والليل يدفع النهار، فكلما ظهرت الشمس على جهة دخل الليل على الجهة المقابلة(٣).

ومن هنا كان التعبير القرآني بتكوير كل من الليل والنهار فيه إعلام صادق عن كروية الأرض، وعن دورانها حول محورها أمام الشمس بأسلـــوب رقيق لا يُفزع العقلية السائدة في ذلك الزمان التي لم تكن مستعدَّة

---

(١) سورة الزمر(٥) .

(٢) المفردات في غريب القرآن صـــ ٧٢٩ .

(٣) دحض دعوى المستشرقين أن القرآن من عند النبي صلى الله عليو وسلم لسعود ابن عبد العزيز الخلف ، ط غراس للنشر والتوزيع ص١٧٠.

لقبول تلك الحقيقة ؛ فضلًا عن استيعابها[١].

قوله عز وجل: {لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}[٢].

إعلان بأن الأرض كروية ، وأن الليل والنهار موجودان في وقت واحد على سطحها ؛ فلو أن الأرض مبسوطة فإن الأمر لا يخرج عن حالتين:

الأولى: أن الله قد خلق الشمس مواجهة للأرض المسطحة ، وفي هذه الحالة يكون النهار موجودا أولا ، ثم يغيب الله الشمس فيأتي الليل .

والثانية: أنه تعالى خلق الشمس غير مواجهة لسطح الارض ، وفي هذه الحالة يكون الليل موجودا – أولا– ثم تطلع الشمس على السطح فيأتي النهار فإثبات وجودهما معاً وعدم سبق أحدهما الآخر منذ خلق الله الارض ، كما هو مفاد الآية الكريمة: لا يتأتى في عالم الأحجام – أبدا – إلا إذا كانت الأرض على هذه الصورة الكروية[٣].

فورود مثل هذه الحقائق الكونية ، في ثنايا الآيات القرآنية ، بهذه الإشارات اللطيفة ، والأسلوب الذي لا يُفزع العقلية التي لم تكن مستعدَّة

---

(١)الإعجاز العلمي ، جامعة المدينة صـــ٢٧١

(٢) سورة يس(٤٠) .

(٣) معجزة القرآن للشيخ محمد متولي الشعراوي صـــ ٤٩ وما بعدها ، ط المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٣٩٨ هـــ / ١٩٧٨م، موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام لأحمد بن سليمان أيوب ، ونخبة من الباحثين ١٢/ ٤٢٠ ، فكرة وإشراف: د سليمان الدريع ، ط دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـــ / ٢٠١٥ م

لقبول تلك الحقائق ، في زمان نزوله ، فضلًا عن استيعابها: يؤكِّد أن القرآن – حقاً – كلام الله عز وجل ، وأنه – كما أخبر في كتابه: تنزيل من حكيم حميد ، وأنه: تنزيل من الله العزيز العليم ، وأنه: كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

أطوار الجنين

فقد أخبرتنا حقائق الوحي عن مراحل تخلق الجنين في بطن أمه ، من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، ثم عظام ، في العديد من المواضع ، منها ما يلي:

قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}(١).

وقوله عز وجل: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا}(٢).

وقوله جلت حكمته: { إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ} (٣).

ولو رجعنا إلى أوثق المصادر الطبية التي تحدثت عن خلق الجنين: لوجدناها لا تتعارض – أبدًا – مع هذه الحقائق التي جاءت في نصوص الوحي الشريف ، وهاك تفصيل مختصر عن ما أثبته العلماء والباحثون عن هذه الأطوار:

---

(١) سورة المؤمنون (١٢- ١٤) .

(٢) سورة نوح (١٣-١٤) .

(٣) سورة الإنسان (٢) .

أولاً: طور النطفة الأمشاج

الأمشاج في اللغة من المَشَجَ ، أي: الخلط ، وهو امتزاج الأشياء الكثيرة المختلفة جرمًا واحدًا غير صُلْب[١].

وتبدأ هذه المرحلة بعد تلقيح نطفة الرجل "الحوين المنوي" للبويضة " نطفة الأنثى" ، لتدخل البويضة بعد ذلك في عملية الانقسام المتوالي ، والتداخل مع السوائل المحيطة بها داخل الرحم ، ليشكل ذلك المزيج المتنوع صورة أشبه بثمرة التوت يطلق عليها علماء الطب مصطلح:(morul) [٢].

فاللفظ الذي أطلقه القرآن الكريم هو أنسب الألفاظ وأدقها في تسمية هذه المرحلة ؛ حيث تتحول البويضة بعد التلقيح إلى هيئة المشيج المائع المختلط .

ثانياً: طور العلقة

العلقة في اللغة: من العَلَقُ: وهو الدمُ الغليظُ ، والقطعة منه عَلَقَةٌ ، والعَلَقَةُ: دودةٌ تعيش في الماء ، وتتغذى على دماء الحيوانات التي تلتصق بها، والجمع عَلَقٌ والعلقة: الشيء المعلق[٣].

---

(١) يراجع: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ، مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها لمحمد حسن حسن جبل ٢٠٨٤/٤، ط مكتبة الآداب ، القاهرة ، الطبعة: الأولى ، عام ٢٠١٠ م .

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن للدكتور محمد علي البار ٣٦٩ ، ط الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الرابعة ، مزيدة ومنقحة ، عام:١٤٠٣ ه ١٩٨٣ م ، علم الجنين الطبي للطبيب علي عباس زليخة صـــ ١٨ ، ط دار طلاس ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الأولى ، عام: ٢٠٠٦ م .

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ١٥٢٩/٤ ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هــ / ١٩٨٧ م .

وهذه التفسيرات اللغوية المذكورة في بيان معنى العلقة: تمثل شرحاً تفصيلياً لمظهر وملامح الجنين في هذه المرحلة ، طبقاً لما أثبته العلم الحديث.

فطبقاً لمعنى الشيء المعلق للفظ العلقة: فعلماء الأجنة يسمون هذا الطور بمرحلة: الالتصاق والانغراز (ATTACH MENT AND IMPLALTION)؛ حيث تقترب الكرة الجرثومية (BLASTULA) التي تشكلت من النطفة الأمشاج ، من الغشاء المبطن للرحم فتلتصق وتتعلق بالجزء العلوي منه ، وفي جداره الخلفي ، في أغلب الحالات(١).

وطبقاً لمعنى الدودة العالقة: فإن الجنين يفقد شكله المستدير في هذه المرحلة ، ويتحول إلى شكل يشبه الدودة ، ثم يبدأ في التغذي من دماء الأم ، مثل ما تفعل الدودة العالقة حين تتغذى على دماء الكائنات التي تلتصق بها(٢).

وطبقاً لمعنى: دم جامد: نجد ان المظهر الخارجي للجنين وأكياسه يتشابه مع الدم المتخثر الجامد الغليظ ؛ لأن القلب الأولي وكيس المشيمة ومجموعة الأوعية الدموية القلبية تظهر في هذه المرحلة(٣).

وبهذا يتبين أن التعبير القرآني بلفظ(العلقة) يعد وصفاً متكاملاً ، عن هذه المرحلة من أطوار الجنين ، كما أنه غاية في الدقة في تصوير المعنى المراد.

---

(١) يراجع: علم الجنين الطبي صـــ ٢١ ، خلق الإنسان بين الطب والقرآن ص٢١١ وما بعدها.

(٢) وصف التخلق البشري بحث للبروفيسور كيث مور ، من منشورات مجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة صـــ ١٥ العدد الثاني ، عام ١٦١٤ ه /١٩٩٦ م الإعجاز العلمي إلى أين صـــ ١٧٨ .

(٣) وصف التخلق البشري لكيث مور ، مجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، العدد الثاني صـــ ١٥ وما بعدها .

ثالثاً: طور المضغة

المضغة في اللغة: قطعة من لحم وغيره ، وكل شيء لاكته الأسنان فهو مضغة ، ومضغ الأمور: صغارها(١).

ويبدأ هذا الطور بظهور الكتل البدنية في أعلى اللوح الجنيني ، في اليوم الرابع والعشرين ، أو الخامس والعشرين ، ثم يتوالى ظهور هذه الكتل بالتدريج إلى اسفل الجنين(٢).

ويمكن إدراك تطابق مصطلح مضغة لوصف العمليات الجارية في هذا الطور من خلال النقاط الآتية(٣):

١. ظهور الفلقات التي تعطي مظهراً يشبه مظهر طبع الأسنان في المادة الممضوغة وتبدو وأنها تتغير باستمرار مثلما تتغير آثار طبع الأسنان في شكل مادة تمضغ ؛وذلك للتغير السريع في شكل الجنين ، ولكن آثار الطبع والمضغ تظل ملازمة

٢. يكون طول الجنين في هذه المرحلة حوالي:(١سم) وذلك مطابق للمعنى الثاني من معاني كلمة مضغة ، وهو الشيء الصغير من المادة .

٣. وكما تستدير المادة الممضوغة قبل أن تبلع: فإن ظهر الجنين ينحني ويصبح مقوساً، شبه مستدير، مثل حرف(c) بالإنجليزية .

ومن ثم فإن وصف المضغة أو القطعة من اللحم ، التي مضغتها الأسنان تمضغها الأسنان وتلوكها: هو أصدق وصف، وأدقه في بيان هذه المرحلة(٤).

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/١٢٠٥ .

(٢) أطوار الجنين ونفخ الروح صـ ٨

(٣) يراجع وصف التخلق البشري صـ ١٧ وما بعدها .

(٤) خلق الإنسان بين الطب والقرآن صـ ٣٦٩ ، الإعجاز العلمي إلى أين صـ ١٧٨ .

رابعاً: طور العظام

وفي هذه المرحلة يبدأ الجنين بالتخلي عن شكل المضغة ، ويتحول إلى شكل الهيكل العظمي الذي يعطي الجنين هيئته الآدمية(١).

يقول الدكتور لانجمان في كتابه علم الأجنة: "وفي الأسبوع السادس تكون هذه الهياكل الغضروفية لعظام الأطراف العلوية والسفلية قد ظهرت بوضوح وإن كان الطرف العلوي يسبق الطرف السفلي ببضعة أيام ... وأول علامة على وجود العضلات تظهر في الاسبوع السابع"(٢).

ومعنى هذا أن العظام تسبق العضلات ، ثم تكسو العضلات العظام(٣)؛ فمصطلح العظام الذي أطلقه القرآن الكريم على هذا الطور: هو المصطلح الذي يعبر عن هذه المرحلة من حياة الحميل ، تعبيراً دقيقاً ، يشمل المظهر الخارجي ، وأهم تغيير في البناء الداخلي ، وما يصاحبه من علاقات جديدة بين أجزاء الجسم(٤)، وصدق الله – عز وجل – حيث قال: {فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا }(٥).

خامساً: طور الكساء باللحم

وهذا الطور هو آخر أطوار تخليق الجنين ، حيث تنتشر العضلات حول العظام وتحيط بها كما يحيط الكساء بلابسه ؛ وبهذا تكون الهيئة الآدمية قد

---

(١) أطوار الجنين ونفخ الروح بحث للدكتور عبدالجواد الصاوي ، من منشورات مجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، صـ٨ ، العدد الثامن عام ١٤٢١ ه .

(٢) نقلاً من كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن صـ ٣٧١ وما بعدها ، وانظر أيضا علم الجنين الطبي صـ١١٣ .

(٣) خلق الإنسان بين الطب والقرآن صـ٣٧٤ .

(٤) مصطلحات قرآنية لمراحل وأطوار التخلق البشري لـ مور كيث صـ ١٠ .

(٥) سورة المؤمنون (١٤) .

بدت أكثر وضوحاً على الجنين ؛ حيث تكون جميع أجهزة الجسم قد تشكلت ولكن بصورة مصغرة ودقيقة(١).

ومن كل ما سبق يظهر لنا: أن الذي ذكرته حقائق الوحي في أطوار خلق الانسان ، من: النطفة ، ثم العلقة ، والمضغة ، وما تلا ذلك من تطورات: مطابق تماماً للحقائق التي وجدها العلماء والباحثون الذين تتبعوا أطوار الجنين ، وتسلسلها حالة بعد حالة ، وشكلا بعد شكل ، من خلال الصور الفوتوغرافية التي سجلتها آلات التصوير الدقيقة ، داخل رحم الأم ؛ وهذا ما جعل المنصفون منهم يقرون بإعجاز القرآن الكريم .

البرزخ الحاجز بين البحرين

وفي هذا المجال تشير الحقائق الدينية والعلمية إلى نوعين من الحواجز:

أولهما: البرزخ المانع بين الماء العذب والماء المالح ، أن يبغي أحدهما على الآخر عند الالتقاء ، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا}(٢).

وقبل الغوص في بيان هذه الحقيقة الكونية العجيبة يجدر بنا –أولا– مطالعة أقوال أهل اللغة والتفسير في شرح وبيان أهم مفردات الآية (مرج ، برزخ ، حجر محجور)

فأما (المرج): فقد ذكر قال أهل اللغة أنه يدل على معنيين:

---

(١) أطوار الجنين ونفخ الروح، بحث للدكتور الجنين عبدالجواد الصاوي، من منشورات مجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، صـ٨ ، العدد الثامن عام ١٤٢١ هـ .

(٢) سورة الفرقان (٥٣) .

أولهما: الخلط والاشتباك ، ومنه قوله تعالى: { بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ} [ق: ٥] أَي: مختلِطٌ ، وغُصْن مَرِيجٌ: مُلْتَوٍ مُشْتبك[١].

والثاني: الاضطراب والمجيئ . قال ابن فارس: "الميم والراء والجيم أصل صحيح يدل على مجيء وذهاب واضطراب . يقال: مرج الخاتم في الإصبع ، أي: قلق ، وفي الحديث: "إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ : أي: اضطربت واختلطت"[٢].

وأما (الْبَرْزَخُ): فهو كل حاجز بين شيئين[٣].

وأما (الحجر): في اللغة فهو هو المنع والتضييق ، يُسمى العقل حجرًا ؛ لأنه يمنع من إتيان ما لا ينبغي ، وكل ما حجرت عليه: فقد منعته من أن يوصل إليه وكل ما منعت منه فقد حجرت عليه ، وحجر الحكام على الأيتام منعهم ، وفي الحديث: لقد تحجرت واسعا ؛ أي :ضيقت ما وسعه الله وخصصت به نفسك دون غيرك[٤].

وقال المفسرون: "مرج البحرين" أي: خلطهما ، وأفاض أحدهما .

يقول الطبري: "والمرج: هو الخلط في كلام العرب على ما بينت قبل ، فلو كان البرزخ الذي بين العذب الفرات من البحرين والملح الأجاج أرضا أو يبسا لم يكن هناك مرج للبحرين ، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما ، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات ، مع

---

(١) ينظر: لسان العرب ٢/ ٣٦٥ .

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ٥/ ٣١٥ .

(٣) ينظر: مختار الصحاح ص٣٢ .

(٤) ينظر: لسان العرب ٤/ ١٦٦ وما بعدها .

اختلاط كل واحد منهما بصاحبه ، فأما إذا كان كل واحد منهما في حيز عن حيز صاحبه فليس هناك مرج ، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس فيذكرون به"[١].

"وجعل بينهما برزخا" أي: حاجزا ، بقدرته لئلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب ، {وحجرا محجورا} أي: سترا ممنوعا فلا يبغيان ، ولا يفسد الملح العذب [٢].

ولما لم يتيسَّر للمفسرين سبيل الإحاطة بأسرار هذا البرزخ الذي ذكرته الآية الكريمة ؛ بسبب نقص العلم البشري في القرون الماضية فقد أعلن كثير منهم عجزه عن تحديده ، وفوضوا أمره إلى علم الله تعالى وقدرته . قال البغوي: "وجعل بينهما برزخا" أي: حاجزا ، بقدرته لئلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب . وبمثل ذلك قال معظم المفسرين [٣].

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٤٧٦ ط دار التربية والتراث ، مكة المكرمة ، بدون تاريخ نشر ، ويراجع أيضاً : تفسير القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ١٣/ ٥٨ ، ط دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ثانية ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ، تفسير البغوي ، تحقيق: محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ٦/ ٩٠ ، ط دار طيبة للنشر والتوزيع ، رابعة ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، مفاتيح الغيب للرازي ٢٤ ٤٧٤ ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ثالثة ، ١٤٢٠ هـ ، تفسير الزمخشري الكشاف للزمخشري ٣/ ٢٨٧ ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، ثالثة ، ١٤٠٧ هـ .

(٢) يراجع: تفسير الطبري ١٧/ ٤٧٤ ، تفسير القرطبي ١٣/ ٥٨ ، تفسير البغوي طيبة ٦/ ٩٠ ، مفاتيح الغيب ٢٤/ ٤٧٤ ، تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣/ ٢٨٧

(٣) يراجع: تفسير الطبري ١٧/٤٧٥ ، تفسير القرطبي ١٣/ ٥٨ ، تفسير البغوي طيبة ٦/ ٩٠ ، مفاتيح الغيب ٢٤/ ٤٧٥ ، تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣/ ٢٨٧

وكذلك الأمر بالنسبة للحجر المحجور؛ فقد ذهب كثير منهم إلى حملها على المجاز. قال الزمخشري: "فإن قلت {حِجْرًا مَحْجُورًا} ما معناه؟ قلت: هي الكلمة التي يقولها المتعوذ ، وقد فسرناها ، وهي واقعة على سبيل المجاز ، كأن كل واحد من البحرين يتعوَّذ من صاحبه ويقول: {حِجْرًا مَحْجُورًا} "، وبمثل ما قال الزمخشري قال غيره من المفسرين(١).

فحاصل قول المفسرين في هذه الآية الكريمة: أن الله تعالى قد خلط بين البحرين العذب الفرات والملح الأجاج ، وأفاض أحدهما في الآخر ، دون أن يبغي أحدهما على صاحبه .

قلت: وهذا فهم صحيح كما تدل عليه لفظة "مرج" ؛ فهي تدل على اختلاط بين شيئين دون أن يمتزج أحدهما بالآخر أو يذوب فيه فتتساوى خصائصهما ؛ فيصيرا شيئاً واحداً ، ألا ترى في قوله تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥﴾(٢)، أَي: مختلِطٌ: أن الحق قد يختلط أو يتلبس بالباطل أو العكس ، من دون أن يصير الباطل حقاً أو الحق باطلاً .

أقول: قضية مروج البحرين واختلاطهما: حقيقة لا تحتاج إلى مزيد بحث ولا كثرة عناء؛ فقد دلت عليها المشاهدة حتى قبل التقدم العلمي في عصرنا هذا ؛ فقد دلت المشاهدة – مثلاً– على أن مياه نهر الأمازون: تندفع لمسافة بعيدة داخل المحيط الأطلسي، كما تندفع مياه نهر النيل إلى مسافة بعيدة – أيضاً– داخل البحر الأبيض المتوسط .

---

(١) يراجع: تفسير الطبري ٤٧٥/١٧ ، تفسير البغوي طيبة ٦/ ٩٠ ، مفاتيح الغيب ٢٤/ ٤٧٥ ، تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣/ ٢٨٧ .

(٢) سورة ق (٥) .

لكن الظاهرة التي حيرت العلماء وأثارت دهشتهم لقرون طويلة: هو عدم امتزاج ماء النهر بماء البحر ، أو بغيان أحدهما على الآخر مهما كانت المسافة التي يقطعها ماء النهر في داخل البحر، فمثلاً: مياه نهر الأمازون الذى يصب في المحيط الأطلسي تندفع مسافة بعيدة في داخل المحيط ، تظل حافظة لعذوبتها طول هذه المسافة ، وفي الخليج العربي نجد: عيونا من الماء العذب تفيض داخل ماء الخليج الملح بماء عذب [(١)].

ومع تقدم العلم وانطلاقه لاكتشاف أسرار الكون ، أخذ يبحث عن كيفية اللقاء بين البحر والنهر، ودرس عيِّنات من الماء حيث يلتقي النهر بالبحر، ودرس درجات الملوحة والعذوبة بأجهزة دقيقة ، وقاس درجات الحرارة ، وحدد مقادير الكثافة ، وجمع عينات من الكائنات الحية ، وقام بتصنيفها ، وحدد أماكن وجودها ، ودرس قابليتها للعيش في البيئات النهرية والبحرية[(٢)].

وبعد المسح لعدد كبير من مناطق اللقاء بين الأنهار والبحار، تجلى للعلماء بعض الأسرار التي كانت محجوبة عن إدراك حول حقيقة هذه المروج ، وهي كالاتي:

أولاً: أن المياه تنقسم إلى ثلاثة أنواع: مياه الأنهار، وهي شديدة العذوبة، ومياه البحار: وهي شديدة الملوحة ، ومياه في منطقة المصبّ ، مزيج من

(١) ينظر: القرآن وإعجازه العلمي صـ ٦٣ ، الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من العلماء المتخصصين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، صـ ٨٥٤ ، ط وزارة الاوقاف ، مصر ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .

(٢) يراجع: مرج المياه كما تدل عليه قرائن الفحص المجهري بحث للدكتور عبد الإله مصباح ، منشورات مجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، العدد الأربعون صـ ٦٠ ، ٦٣ ، الإسلام والنظر في آيات الله الكونية صـ ١١٠ ـــ ١١٢ .

الملوحة والعذوبة ، وهي منطقة حاجزة بين النهر والبحر، متحركة بينهما بحسب مدّ البحر وجزره ، وفيضان النهر وجفافه ، وتزداد الملوحة فيها كلما قربت من البحر، وتزداد درجة العذوبة كلما قربت من النهر(١).

ثانياً: عدم اللقاء المباشر بين ماء النهر وماء البحر في منطقة المصب ، حتى ولو كان النهر يصب إلى البحر من مكان مرتفع في صورة شلال ، ومهما زادت حركة المد والجزر ، وحالات الفيضان والانحسار، التي تُعتبر من أقوى عوامل المزج ؛ لأن البرزخ المحيط بمنطقة المصب يفصل بينهما على الدوام(٢).

وهذا البرزخ قد جعله الله تعالى قانوناً مضطرداً ، يفصل بين ماء البحر وماء النهر حتى لو التقيا في إناء صغير؛ وهذا ما أثبته العلماء والباحثون -بالفعل- في التجارب المعملية(٣).

ثالثا: تمتاز منطقة المروج "المصب" بكائنات حية لا تستطيع الخروج من هذه المنطقة ، لا إلى البحر ولا إلى النهر ، وفي المقابل: فإن الكائنات الحية الموجودة في البحر أو النهر لا تستطيع المجيئ إلى منطقة المصب لنفس السبب السابق(٤).

---

(١) ينظر: البحرين والبرزخ الحاجز بينهما ، بحث للأستاذ الدكتور مصطفى محمد الجمال ، مجلة الإعجاز ، العدد ٣٥ ، صــ٦ .

(٢) ينظر: مرج المياه كما تدل عليه قرائن الفحص المجهري ، بحث للدكتور عبد الإله مصباح العدد الأربعون ، صــ ٦٠ .

(٣) ينظر: البحرين والحاجز بينهما ، بحث للأستاذ الدكتور مصطفى محمد الجمال ، مجلة الإعجاز ، عدد ٣٥، صــ٦ وما بعدها الإسلام والنظر في آيات الله الكونية صــ١١١ وما بعدها.

(٤) يراجع: ملامح الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مجال علوم البحار بحث للدكتور أمين مصطفى غيث ، والدكتور محمد صالح بكري الحريري ، مجلة الإعجاز=

والذي يبدو – الآن– لكل ذي بصيرة: أن كل هذه الحقائق التي توصل إليها العلم بجهود مضنية وطول بحث ونظر: ليست إلا ترجمة واقعية للحقيقة التي استبق إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا}(١).

يقول الدكتور عبد الإله مصباح ، الباحث في مجال علوم البحار: " فما جاء في الآية الكريمة وفي حديث رسول الله ﷺ منذ ألف واربعمائة سنة لم يتمكن العلم من كشف رموزه إلا مؤخراً بعد جهود مكثفة بين أخصائيين في علوم البيئة والمناخ وغيرها ، حيث بدأت الرؤية تتضح حول خصوصيات هذا المفهوم في إثبات حقيقة منطقة المنع التي تتحدد بموجبها عملية المرج ، بحيث مهما طغى هذا الجانب على ذاك فتبقى منطقة المرج ورغم تناقلها في المكان برزخا كابحاً لجماح كل طرف أن يبغي على الآخر"(٢).

ويقول ايضاً:" وهكذا فمن معايناتنا الميدانية ، ومن استشهادات الآخرين: نستنتج أن التعبير الدقيق الذي جاءت به الآية الكريمة في وصف مرج البحار ، وكذا الحديث النبوي الشريف ، في تشخيص مرج العهود: يتضمن من الدقة والبيان ما لا يمكن إدراكه إلا بحس علمي دقيق"(٣).

=العلمي ، عدد ٣٨ ، صـــ ٤٣ ، الإعجاز العلمي في القرآن ، مناهج جامعة المدينة العالمية ، مرحلة الماجستير، ط جامعة المدينة العالمية صـــ ٣٢٤ وما بعدها .

(١) سورة الفرقان (٥٣) .

(٢) مرج المياه كما تدل عليه قرائن الفحص المجهري ، بحث للدكتور عبد الإله مصباح ، مجلة الإعجاز العلمي ، العدد الأربعون ، صـــ ٦٢ .

(٣) المرجع السابق صـــ ٦٣ .

والسؤال الذ يفرض نفسه هاهنا: كيف تبينت هذه الحقائق البحرية على لسان نبي أمي ، عاش في أرض صحراوية ! لا يجري فيها بحر ولا يصب فيها نهر! ولم يتيسر في زمنه من أبحاث وآلات ودراسات ما تيسر للعلماء الذين اكتشفوا تلك الأسرار بالبحث والدراسة !!!

يأتيك الجواب من فوره في مطلع نفس السورة التي نطقت بهذه الحقيقة، حيث يقول الله جل وعلا: {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [(١)].

فالواقع أن الذي تيسر لرسول الله ﷺ أعظم وأكبر من ذلك ؛ فقد جاءه النبأ من العليم الخبير، الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير جل جلاله .

وأما الحاجز الثاني: فهو البرزخ الحاجز بين مياه البحار المتجاورة ، أن يمتزج بعضها ببعض ، وقد جاء ذلك في قوله جل وعلا: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ}[(٢)].

فهذان البحران اللذان التقيا: هما بحران مالحان ؛ بدليل قول الله تعالى: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن: ٢٢] ، فهذه الأشياء لا توجد إلا في البحار المالحة[(٣)].

فظاهر هذه الآيات الكريمة يشير إلى المروج والالتقاء بين بحرين مالحين ؛ إذ لو كان البحران لا يختلف أحدهما عن الآخر؛ لكانا بحرًا واحدًا ،

---

(١) سورة الفرقان (٦) .

(٢) سورة الرحمن (١٩ـــــــ ٢٠) .

(٣) ينظر: مرج المياه كما تدل عليه قرائن الفحص المجهري ، بحث للدكتور عبد الإله مصباح ، من منشورات مجلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، العدد الأربعون ، ص٦٣ .

ولكنَّ التفريق بينهما في اللفظ القرآني دال على اختلاف بينهما مع كونهما مالحين ؛ وذلك يدل – ضرورة – على اختلاف طبائع مياه البحار ولو اختلطت مياهها واضربت ؛ كما تدل عليه لفظة "مرج" التي تبين لنا معناها مما سبق .

كما تبين الآيات الكريمة أن سبب عدم امتزاجهما مع ما بينهما من الاختلاط: هو ذلك البرزخ الذي جعله الله تعالى حاجزاً بينهما ؛ كي لا يبغي أحدهما على الآخر.

وذلك ما استطاع العلم كشفه بعد عدة قرون من نزول القرآن الكريم ، بعد تقدم علوم البحار في القرنين الأخيرين ، وخاصة في النصف الأخير من القرن العشرين ، وقبل ذلك كان البحر مجهولًا مخيفًا ، تكثر عنه الأساطير والخرافات ، وكل ما يهتم به راكبوه هو السلامة ، والاهتداء إلى الطريق الصحيح أثناء رحلاتهم الطويلة(١).

وبعد النهضة العلمية في العصر الحديث: أقام الإنسان مئات المحطات البحرية ، وأنشأ السفن والغواصات المجهزة التي تجوب أعماق البحار، بعد أن زودت بأحدث الآلات العلمية ، وتدرعت بجنود من العلماء ، لدراسة خصائصها البحار وكشف اسرارها .

وأسفرت هذه الدراسات عن وجود خواص مائية تفصل بين البحار الملتقية ، وتُحافظ على الخصائص المميزة لكل بحر من حيث الكثافة

---

(١) يراجع: جغرافيا البحار والمحيطات لطلعت أحمد محمد ، وحورية محمد حسين صـ ١٧٧ وما بعدها ، ط دار المعرفة الجامعية ، بدون تاريخ ، وانظر أيضاً صـ ١٢٥ ، ملامح الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مجال علوم البحار ، بحث للدكتور أمين مصطفى غيث ، والدكتور محمد صالح بن بكري الحريري ، مجلة الإعجاز العلمي ، عدد ٣٨ ، صـ٤٨ .

والملوحة والحرارة ، وقابلية ذوبان الأكسجين في الماء ، ويكون الاختلاط بين ماء البحار عبر هذه الحواجز بطريقة بطيئة ، يتحوَّل معها الماء الذي يعبُر الحاجز، إلى خصائص البحر الذي دخل فيه(١).

ومن أشهر هذه البعثات الموجهة لدراسة خصائص البحار: البعثة العلمية البحرية الإنجليزية في رحلة (تشالنجر ١٨٧٢ - ١٨٧٦) التي انتهت نتائجها إلى أن المياه في البحار تختلف في تركيبها عن بعضها البعض من حيث درجة الملوحة ، ودرجة الحرارة ، ومقادير الكثافة ، وأنواع الأحياء المائية ، ولقد كان اكتشاف هذه المعلومة بعد رحلة علمية استمرت ثلاثة أعوام ، جابت جميع بحار العالم(٢).

وكذلك بعثة السفينة المصرية (مباحث ١٩٣٣ - ١٩٣٤) وكانت تحمل فريقا مشتركا من العلماء المصريين والبريطانيين ، وقد توصلت إلى أن مياه المحيط الهندي تختلف في خواصها عن مياه البحر الأحمر، ويعلل ذلك بوجود الحاجز المغمور عند ملتقى كل بحرين ، ولا تزال نتائج هذه البعثة

---

(١) يراجع: البحار والمحيطات لــ أن لوفيفر باليدييه ، ترجمة: زينب عبد المنعم ص ٣٢ ـــــ ٣٤ ، ط مكتبة الملك فهد الوطنية ، أولى ، ١٤٣٦ ه/ ٢٠١٥ م البحرين والحاجز المائي بينهما ، بحث للأستاذ الدكتور/ مصطفى محمد الجمال ، مجلة الإعجاز العلمي ، العدد ٣٥ ، صـــ ٧ ، ملامح الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مجال علوم البحار بحث للدكتور أمين مصطفى غيث ، والدكتور محمد صالح بن بكري الحريري مجلة الإعجاز العلمي ، عدد ٣٨ ، صـــ ٤٨ ، مرج المياه كما تدل عليه قرائن الفحص المجهري ، بحث للدكتور عبد الإله مصباح ، مجلة الإعجاز ، العدد الأربعون ، صـــ ٦٢ ، الإعجاز العلمي جامعة المدينة صـــ ٣٣٧ .

(٢) يراجع: جغرافيا البحار والمحيطات صــــ١٢٦ .

موجودة في خزائن كلية العلوم بالجامعة المصرية ، وفي خزائن جامعة كمبردج التي وصلت إليها "البعثة المذكورة [(١)].

وأخيراً: تمكن الإنسان من تصوير هذه الحواجز المتحركة المتعرجة بين البحار، عن طريق الأقمار الصناعية وغيرها من الوسائل .

وهكذا يظهر لنا مدى انطباق كلمات الله تعالى مع حقيقة كونية وظاهرة علمية مؤكدة ؛ أصبحنا نراها بأعيننا دون الحاجة إلى معدات وتقنيات عالية ؛ فنحن – اليوم – بواسطة تصوير الأقمار الصناعية ، التي أصبحت لا تخفى على ذي بصيرة: نستطيع أن نرى استواء مدى تلامس البحرين عند مكان الالتقاء ، دون بغاء أحدهما على الآخر ، رغم حدوث التيارات المائية والأمواج البحرية .

ومن خلال هذه النماذج القليلة ، التي آثرت الاكتفاء بها حتى لا يطول بنا المقام ، يظهر لنا جلياً: مدى توافق كلمات الله – تعالى – مع الحقائق الكونية التي أثبتها العلم التجريبي ، وأن البشر كلما زاد بحثهم عن الحقيقة إتقاناً ووضوحًا ، فإنهم يقتربون أكثر من حقيقة الوحي في أموره الكونية .

ونحن لا نعني بذلك أن نصوص الوحي المطهر قد أنزلها الله ليقرر نظريات علمية ، أو يعلن عن مكتشفات كونية ، ولكن في مقام هداية الخلق على وجوده تعالى ووحدانيته ، والتذكير بنعمه وآلائه ، جاء بآيات تُفهم منها سنن كونية كشف العلم الحديث براهينها ، فكان ذلك برهاناً جديدًا على أن ذلك الوحي من عند الله عز وجل ؛ فكم في القرآن الكريم من آية إذا مستها يد العلم أبانت أسرارها وأظهرت إعجازها .

---

(١) يراجع: المرجع السابق صـــ ١٢٧ .

كما أن الهداية التي جاء الدين – أصلا – من أجلها تقتضى ألا يخاطب الناس عن الكون بما ينكرون ، أو بما يستعصى على أفهامهم ، فيقوم ذلك حجابا بينهم وبين قبول دعوته ، وحاملا على التكذيب بِه ، بل يخاطبهم بما يجدونه واضحاً أمام أعينهم ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ}(١).

(١) سورة فصلت (٥٣ – ٥٤) .

المبحث الرابع
نقض دعوى التعارض بين الحقائق

لقد وضح لدينا بالبيان التحليلي أن الدين والعلم لا يختلفان ولا يتنازعان حول الحقائق التي ينطق بها هذا الكون ؛ بل يتوافقان ويتكاملان ؛ إذ أن الطرق الصحيحة التي تتجه للتعرف على شيء واحد ، لا بد أن تكون نتائجها متطابقة ، أو متكاملة غير متناقضة ؛ فالشيء الواحد قد تقدم عنه العين معلومات لا تقدمها الأذن ولا يقدمها الذوق ولا يقدمها الشم ، وكل حاسة تقدم معلومات لا تقدمها الحاسة الأخرى ، ولكنها لا تتناقض فيما بينها بل تتكامل .

ورغم ما أثبته العلم – نفسه – من التوافق مع الدين في هذ الجانب ؛ حتى صارت هذه القضية أحد أهم الدعائم التي يرتكز عليها الدين في إنفاذ سلطانه في قلوب البشر ، في هذا العصر الحديث: فإن كثيراً من الملحدين والعلمانيين لا يزالون يصرون على طرح دعوى التعارض بين الدين والعلم في هذا الجانب ، وغيره من الجوانب .

يقول ميلر بروز: "من الذائع المشهور أن النتائج التي وصل إليها العلم الحديث عن أصول العلم ، تخالف كل المخالفة ما هو مقرر في الكتاب المقدس ، وفي القرآن من أن الله خلق العالم في ستة أيام ، صحيح أن القرآن يقرر أن يوما عند الله كألف سنة مما يعد الإنسان ولكن هذا لا يحل المعضلة؛ فإن فترة الزمان المتطاولة التي مر بها الكون في وجوده ، لا يمكن أن تضغط في ستة آلاف أو ستة ملايين سنة" (١).

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها لعبدالمحسن ابن زين بن متعب المطيري صـــ٣٨٦ ، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه من كلية دار العلوم،=

ويقول جلال العظم: "ومن نافل القول أن نردد أن الطريقة العلمية في الوصول إلى معارفنا وقناعاتنا عن طبيعة الكون ونشأته ، وعن الإنسان وتاريخه ، تتنافى تماماً مع هذا المنهج الاتباعي السائد في الدين ، لأن المنهج العلمي قائم على الملاحظة والاستدلال ، ولأن التبرير الوحيد لصحة النتائج التي يصل إليها هذا المنهج هو مدى اتساقها مع بعضها ، ومدى انطباقها على الواقع" (١).

ويقول صاحب كتاب تاريخ الصراع بين الدين والعلم: "فإن نظرية دارون في النشوء الكوني ونشوء الصور الحية قد وضعت وثبتت قواعدها ، كما أن نظرية الخلق المستقل القديمة قد اضمحلت وفنت من عالم الفكر الإنساني ، ولقد تبدل الإنسان منها بما أوحى العلم الحديث من تصورات ثابتة أبعد مدى وأنبل قصدًا ، فتحت الباب لتكوين فكرة في القصد والغاية أجمل من كل الفكرات التي كونها التصور اللاهوتي على مدى الأزمان"(٢).

مناقشة الدعوى

وستكون مناقشة هذه الدعوى وبيان زيفها من خلال محورين رئيسيين:

الأول: بيان أصل هذه الدعوى ومنشأها .

والثاني: بيان أهـم المغالطات التي يعتمد عليها العلمانيون والملحدون في

=جامعة القاهرة ، ط دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م .

(١) نقد الفكر الديني لصادق جلال العظم صـ٢٢ ، ط دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، الطبعة الثانية ، عام١٩٧٠ .

(٢) بين الدين والعلم ، تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى إزاء علوم الفلك والجغرافيا والنشوء لـ أندرو ديكسون وايت ، ترجمة: إسماعيل مظهر ، ط مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، بدون تاريخ .

إثباتها .

أما عن منشأ هذه الدعوى: فإن البذرة الأولى لها تتمثل في الصراع الذي نشأ بين الكنيسة والعلماء في أوروبا في العصور الوسطى ؛ حيث تبنت الكنيسة بعض النظريات العلمية القديمة في بعض العلوم ، ثم حكمت على كل من يخالفها بالردة والمروق والهرطقة ، ومن ذلك ما فرضته الكنيسة على أتباعها أن يؤمنوا بأن الأرض ليست كروية وأنها مركز الكون ، والغريب أنهم جعلوا هذه الآراء عقيدة ودينا لأتباعهم(١).

وحين تطورت العلوم الطبيعية تبين أن الكثير من تلك النظريات كان خاطئاً وخلاف الصواب والحقيقة ، وانبرت الكنيسة تدافع عن تلك الأخطاء باعتبارها الدين ، واشتعلت الحرب ، وسقط ضحايا التزمُّت الخرافي والتعصب الأعمى غير المسوّغ من علماء الطبيعة ما بين مقتول ومحروق ومشنوق ، ومارست الكنيسة أقصى درجات القمع الفكري والبدني على معارضيها"(٢).

"ورغم ما أصاب العلماء على يد الكنيسة من تعذيب واضطهاد إلا أنهم استطاعوا أن يثبتوا للأجيال التالية أن ما تدعيه الكنيسة دينا وعقيدة ليس إلا خرافة ومظهرا من مظاهر الجهل ، وبدأت من هذا التاريخ قصة الصراع الطويل بين الكنيسة والعلم ، وأصبح رجل الدين في نظر العلماء رمزا

---

(١) يراجع: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها لغالب بن علي عواجي ٢/٦٩٤ ، ط المكتبة العصرية الذهبية ، جده ، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م الوحي والإنسان ، قراءة معرفية لمحمد السيد الجليند صـ ١١١ وما بعدها ، ط دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة .

(٢) مجلة البيان ، تصدر عن المنتدى الإسلامي ، العدد ١٥٩ / صـ ٣٨ .

للجهل، وأخذت هذه الازدواجية: الدين والعلم تأخذ العلاقة بينهما شكل التناقض ، فهما لا يلتقيان أبدا ؛ فالدين عندهم رمز التخلف والجهل والخرافة ، والعلم رمز التنوير والتقدم وعنوان النهضة المنشودة"[١].

ولقد كان من نتائج ذلك الصراع العنيف: انتشار الإلحاد بجميع صوره وأشكاله في حياة الغربيين: نتيجة لهزيمة الكنيسة والدين في مواجهة العلمانية، مما أدى لتحييد الدين عن شؤون الحياة العامة ، واقتصاره على الجانب الفردي الاختياري في حياة الإنسان ، ولأول مرة في تاريخ البشرية تقوم دول وأنظمة ومعسكرات عالمية تتبنى الإلحاد في أشد صوره غلواً وتطرفاً ومادية ، وتصادم فطرة الإنسان ، وتصادر ضرورات العقل في الإيمان ومستلزماته تحت شعار تقديس العقل ، وإنما هو تسفيه العقل والعياذ بالله[٢].

وفي خضم هذا الجو المفعم بروح الإلحاد والعلمانية: بدا فجر النهضة العلمية الحديثة بالبزوغ ؛ فاصطبغت تلك العلوم التجريبية الحديثة بنفس هذه الصبغة الإلحادية ؛ التي تعادى كل ما هو دين حتى إن كان حقيقة ، وتقبل كل ما نسب إلى العلم ولو كان خرافة ووهما .

والجدير بالذكر: إن السبب الرئيسي الذي جعل النصرانية تتخذ هذا الموقف العدائي من العلم وأهله: هو ما سقطت فيه من المفاهيم الباطلة الدخيلة على أصول الدين ، والمناقضة لأصول العقل والعلم الصحيح ، مما جعلها تتلخص من ورطتها هذه بإطلاق كلمتها المأثورة: "أطفئ مصباح عقلك واعتقد وأنت أعمى" ، وحرموا التفكير والنظر في مسائل الدين ، وأقفلوا باب

---

(١) الوحي والإنسان ، قراءة معرفية صـــ ١١٣ .
(٢) مجلة البيان عدد:١٥٩ / ٣٨ .

العقل والبحث العلمي نهائياً عن كل مسألة تعرضت إليها نصوص دينهم ، حتى ما كان منها متعلقاً بواقع الكون الذي تستطيع الوسائل الإنسانية أن تصل إلى معرفته[١].

والحق الذي ينبغي أن يَعِيَهُ أهل العقل والإنصاف أن الظروف التي أنشأت هذه الروح العدائية بين حقائق العلم والدين ، في أوروبا: لا تنطبق – أبداً – على أصول العقيدة الإسلامية ؛ لأن الإسلام لم يعادي العلم ، أو يكن – يوماً – حجر عثرة في سبيل الكشوف العلمية الجديدة ؛ وذلك لأنه الحق الذي نزل من عند الله عز وجل ، والحق لا يعاند الحقائق ولا يخشاها ؛ بل يؤيدها ويدعو إليها .

بل أن المتأمل في أصول هذا الدين القويم: يجد أن هذه العلوم الطبيعية التي خرج من رحمها تلك الحقائق الكونية إسلامية في موضوعها ومنهجها .

أما كونها إسلامية في موضوعها: فذلك واضح من سياق الآيات التي تحث على طلب هذا العلم ، ومن ذلك على سبيل المثال:

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُود(٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [٢].

وهذه الآية الكريمة تشير إلى كثير من موضوعات العلوم الطبيعية ؛ فلا يعرف سر نزول الماء من السماء إلا بعلم الطبيعة ، ولا يعرف تركيب الماء وخواصه إلا بعلم الكيمياء ، ولا يعرف الإنبات والإثمار وأثر الماء فيهما إلا

---

(١) صراع مع الملاحدة حتى العظم صـــ٢٥ .

(٢) سورة فاطر (٢٧ـــــ ٢٨) .

بعلم النبات ، ولا يعرف ما الجبال وما طرائقها البيض والحمر والسود إلا بعلم طبقات الأرض ، وعلى هذه الآية فقس غيرها[١].

وقوله جل جلاله: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ} [٢].

"ففي تخصيص (العالمين) بالذكر: توجيه لذوي العقول المستضيئة بنور العلم إلى البحث عن أسرار آيات الله الكونية لرفع الحجب عن حقائقها لتقع من الحياة موقعها وينتفع بها العباد"[٣].

"ولو كان البحث العلمي الإنساني السليم سيوصل إلى القطع بحقائق لا يوافق عليها الدين لما دعاه الإسلام إلى تقديم شهادته بالحقيقة ، ولما أرشد الله العلماء إليه ، ووضع في أيديهم وسائله ، ودفع بهم إليه دفعاً كما في الآيات السابقة وأمثالها"[٤].

"كما أن العناوين التي تُوجَت بها كثير من سور القرآن الكريم: كالرعد، والنور، والدخان، والنجم، والقمر، والانشقاق، والبروج، والطارق، والشمس، والليل، والضحى ... ما ذكرت إلا لتوجيه الأنظار لدراسة هذه الظواهر"[٥].

"ولما فهم أجدادنا الأماجد من كتاب الله عز وجل سطعت اسماؤهم وتألقت تصانيفهم في علم الفلك ، أو علم صناعة النجوم كما أسموه ، ففي

---

(١) في سنن الله الكونية صــ٥ .

(٢) سورة الروم (٢٢) .

(٣)الإسلام والنظر في آيات الله الكونية صــ ١٤ .

(٤) صراع مع الملاحدة حتى العظم ص٢٥ .

(٥) الإنسان بين الدين والعلم لشوقي ابو خليل صــ ١١ ، ط دار الفكر ، ثانية ، ١٣٩٧ ه ١٩٧٧ م . الإسلام والنظر في آيات الله الكونية صــ ٤٨ .

وقت كان العرب يهتمون فيه بهذا العلم وغيره من العلوم يبحثون ويناقشون ، ويكتشفون يخترعون كان التفكير في أوروبا يعد جريمة يعاقب عليها صاحبها بالموت"(١).

وأما كون هذا العلم قرآني بطريقته ومنهجه : فإن طريقة هذا العلم في بيان حقائق الكون هي نفس الطريقة التي أمر بها القرآن الكريم ، ويتبين ذلك مما يلي:

أولاً: أن العلم لا يعترف بشيء على أنه حق إلا إذا أقام عليه البرهان العقلي القاطع ، والقرآن الكريم يأمر كذلك بأن لا يقبل الإنسان شيئاً إلا إذا اقام عليه البرهان ، يقول الله تعالى في حق من يلقون الأقوال بلا دليل: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: ١١١] ، بل إن أهم القضايا الدينية وهي إثبات وجوده تعالى قد أقامها القرآن الكريم بالبرهان والدليل العقلي البحت كما في قوله تعالى: { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ } (٢)(٣).

---

(١) الإنسان بين الدين والعلم لشوقي ابو خليل صـــ ١١ .

(٢) سورة الطور (٣٥ - ٣٦) .

(٣) فهذه الآية الكريمة تدل على وجود الله تعالى من خلال ثلاثة أسس شَهِدَ بِهَا العقل شهادة قاطعة ، أولها: أن العدم لا يخلق شيئاً ، والثاني: أن كل فعل لا بد له من فاعل وكل اثر لا بد له من مؤثر ، والثالث: أن فاقد الشيء لا يعطيه ؛ فالبشر جميعًا، والناس جميعًا كانوا عدمًا ، ولا يملكون شيئًا ، والعدم لا يوجد نفسه فضلًا عن أن يوجد غيره ؛ فكل ما في هذا الكون وما توصل إليه العلم الحديث اليوم يدعو إلى الإيمان بوجود الله تعالى، وبوحدانيته . [يراجع: أصول الدعوة وطرقها ، جامعة المدينة صـــ٢٢٠ وما بعدها(٣) صراع مع الملاحدة حتى العظم ص٢٥ .

ثانياً: إن العلم يحاذر كل المحاذرة من أن ينزل الظن أو الفرض والتخمين منزله اليقين، وهذا يتفق تماما مع روح القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } [(١)(٢)].

ثالثاً: إن العلم يمنع التقليد في النظر من غير الوقوف على الدليل والاقتناع به ؛ وهو يخالف العلم القديم في هذا الجانب ؛ لأن العلماء قديما - خصوصا في القرون الوسطى - كانوا كثيراً ما يقتنعون في الاستدلال على الصحة او البطلان: بإثبات أن القضية توافق أو تحالف رأي فلان ، فكان ما يثبت عن أرسطو - مثلا - يتخذ حجة قاطعة في موضوعه ، من غير أن ينظر في رأي أرسطو هذا في ذاته ، ومن غير ما يسأل ما دليل أرسطو ؛ وقد كان هذا منبع شر كبير[(٣)].

والعلم في منعه التقليد الأعمى: يتفق - تماماً - مع الدين الذي شدد النكير على أناس كانوا يستمسكون بالرأي لا لأنهم عقلوه ، بل لأنهم - فقط- ورثوه عمن سبقهم ، وقد تكرر ذلك الأمر في كثير من مواضع القرآن الكريم:

قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} [(٤)].

وقـــال جل جلاله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ

---

(١) سورة يونس (٣٦) .

(٢) يراجع: تفسير الشعراوي ٣/ ١٣٦٢.

(٣) يراجع: في سنن الله الكونية صـــ ٧ .

(٤) سورة البقرة (١٧٠) .

قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}[١].

"فالتقليد الأعمى أو الأخذ بالرأي من غير الدليل ، أو رغم الدليل: محرم على أهل النظر في حكم العلم وفي حكم نصوص الوحي"[٢].

رابعاً: أصل المشاهدة: عرفنا فيما سبق أن العلم في سبيل بحثه عن الحقيقة يسلك سبيل العقل والبرهان العقلي ، ولكن العقل لا يستطيع الوصول إلى البرهان ، في كثير من الأحيان ، إلا بواسطة الوسائل التي تمده بالمعلومات ، وهي الحواس[٣].

فإن العقل في سبيل إقامته للبراهين الصحيحة لابد وان يعتمد على مقدمات بدهية ، لا العقلاء في صحتها ، ويصلون إليها مستقلين بعضهم عن بعض ، وعلم الهندسة النظرية مع تعقد نظرياته: مستنتج كله من أمثال هذه البدهيات ، ولكن ليس كل المقدمات يمكن رده إلى بدهيات كهذه ، فلابد إذن من إثبات صحة هذا النوع الثاني من طريق آخر غير طريق الاستنتاج من البدهيات ، وهذا الطريق: هو طريق المشاهدة الصحيحة[٤].

"فالمشاهدات العلمية التي تستخدم فيها الحواس ، خصوصاً: السمع والبصر ، ولكن بشرط تربيتها وتدريبها من ناحية ، وإعانتها على دقة الملاحظة بالآلات الدقيقة من ناحية أخرى ؛ فهذه الآلات هي في الواقع وسائل هدى الله إليه الإنسان ليزيد في مدى حسه ؛ فيزيد في مدى إبصاره

---

(١) سورة المائدة (١٠٤) .
(٢) في سنن الله الكونية صــ٨ .
(٣) يراجع: صراع مع الملاحدة صـــ ٢٥ .
(٤) يراجع: في سنن الله الكونية صـــ ١٠

مثلاً بالمجاهر أو المكرسكوبات التي يستطيع الإنسان أن يرى بها ما لا تراه العين المجردة كالجراثيم وكرات الدم وخلايا الجسم الحية"[1].

فالمشاهدة أصل عظيم في العلم الطبيعي التجريبي ، وهي ـــــ أيضاً أصل ديني عظيم ؛ فإن الآيات التي تأمر بالمشاهدة واستعمال السمع والبصر أكثر من أن تحصر واشهر من أن تشهر .

فعن استعمال السمع مع العقل يقول الله تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [2].

وعن استعمال البصر مع العقل يقول جل شأنه: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ...} [3].

وعن استعمال السمع والبصر مع العقل يقول عز وجل: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [4].

فكل هذه الآيات القرآنية وأمثالها: تدعونا أن ننظر لنعقل وأن نسمع لنتدبر ونفهم حقائق هذا الكون وسننه التي أودعها الله تعالى فيه ؛ وهذا دعوة صريحة إلى البحث العلمي التجريبي الجاد ؛ لأن هذا لا يتأتى إلا من خلاله .

وهكذا يتضح لنا: أن الدين الحق والعلم الصحيح يسيران على منهج واحد في الوصول إلى المعارف والبحث عن الحقائق ؛ مما يؤكد لنا أن منشأ

(١)الإسلام والنظر في آيات الله الكونية صـــ ١٨ وما بعدها
(٢) سورة الحج (٤٦) .
(٣) سورة الأعراف (١٨٥) .
(٤) سورة النحل (٧٨) .

هذا الصراع ومنبت تلك العداوة لم تكن -أصلا - بين الدين والعلم وإنما بين اللاهوت والاضطهاد الكنسي والعلم .

فهذه الدعوى بعيدة كل البعد عن دين الإسلام ، ولكن الملحدين جمعوا الأديان كلها ، صحيحها وباطلها وجعلوها جبهة واحدة ضد العلم ، ثم وجهوا طعناتهم ضد ما في بعضها من باطل ، ثم استنتجوا من ذلك أنها جميعاً أديان باطلة ، باعتبارها جبهة دينية واحدة ، لما وجدوا في بعضها ما هو باطل .

وأما المحور الثاني: ففيه بيان أهم المغالطات التي يعتمد عليها العلمانيون والملحدون في إثبات دعوى التعارض بين الحقائق الدينية والعلمية.

فرغم هذا التحليل السابق ، الذي لا يدع مجالاً للقول بوجود التناقض بين الإسلام والعلم في المنهج الموصل إلى معرفة الحقائق ، أو في النتائج اليقينية المقطوع بها من أحدهما: فقد حاول بعض أهل الإلحاد والعلمانية إثبات هذه الدعوى عن طريق الاعتماد على بعض المغالطات الدينية والعلمية.

والناظر في مغالطاتهم في هذا الجانب: يجد أنها لا تعدو أحد هذه الاحتمالات الآتية:

الاحتمال الأول: أن يكون ما نسب إلى الحقيقة العلمية: مجرد نظرية ، لم يتحقق العلم من صدقها .

فكثيراً ما يدعي الماديون أن فرضية من الفرضيات ، أو نظرية من النظريات ، قد أصبحت حقيقة علمية غير قابلة للنقض أو التعديل ، مع أنها لا تملك أدلة إثبات يقينية تجعلها حقيقة نهائية ، أو حقيقة مقطوعاً بها ضمن مستواها ، وذلك بشهادة العلماء ، الذين وضعوا هذه النظرية أو ساهموا في

تدعيمها .

ومن أمثلة ذلك الداروينية بالنسبة إلى خلق الإنسان والكائنات الحية ، فهي لا تملك أدلة إثبات قاطعة أو شديدة الترجيح ، كما شهد بذلك كثير من العلماء الماديين الذين يروجون لهذه النظرية .

يقول آرثر كيث: "إن نظرية النشوء والارتقاء لا زالت بدون براهين ، وستظل كذلك ، والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها هو: أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر وهذا غير وارد على الإطلاق"(١).

ويقول واطسن: "إن علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة أو الاختبار أو الاستدلال المنطقي ، ولكن لأن فكرة الخلق المباشر بعيدة عن التصور"(٢).

ويقول هسكوت: "إن نظرية النشوء جاءت لتبقى ، ولا يمكن أن نتخلى عنها حتى لو أصبحت عملاً من أعمال الاعتقاد"

وهكذا نرى أن المؤمنين بهذه الفرضية لم يرصد أحد منهم – إطلاقاً– دليلاً علمياً يقطع بصحتها ، بل على العكس من ذلك ؛ فقد قامت الأدلة على بطلانها ؛ فقد طالعتنا وكالات الأنباء في أكتوبر ١٩٧٤م (شوال ١٣٩٤هـ) أن أعضاء بعثة الآثار الفرنسية البريطانية ، التي تقوم بسلسلة من الحفائر في إثيوبيا قد اكتشفوا بقايا هيكل عظمي لإنسان ، يرجع تاريخها إلى حوالي

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة تأليف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، إشراف وتخطيط ومراجعة: د مانع بن حماد الجهني ٢/ ٩٢٥ ، ط دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة ، ١٤٢٠هـ.

(٢) مذهب النشوء والارتقاء، لمنيرة على الغاياتي ، تقديم محمد البهي صـ٦ وما بعدها ، ط دار المعارف ، مصر عام ١٣٩٥هـ .

أربعة ملايين سنة ، وقال أعضاء البعثة إن هذا الكشف سيغير تماماً النظريات السابقة المعروفة عن أصل الإنسان(١).

ولكننا ابتلينا بعد ذلك بكُسور من المثقفين المتأثرين بالنزعات الإلحادية ممن يدِّعون وجود التناقض بين الدين والحقائق العلمية ، استناداً إلى وجود اختلاف بين بعض المعارف الدينية وبين مثل هذه الفرضيات أو النظريات التي ليست إلا وهماً بعيد كل البعدُ عن الحقيقة العلمية ، وهم يزعمون كذباً ، أو يتصورون خطأً أن هذه الفرضيات قد أصبحت حقائق ثابتة بشكل قطعي غير قابل للنقض .

الاحتمال الثاني: أن يكون الذي نسب إلى الدين ليس صحيحاً .

ومثال ذلك ما زعموه من أن القرآن الكريم يقرر في أول سورة (ق) أن جبل (قاف) يحيط بالأرض كلها ، وهذا خطأ ؛ لأن العلم يبين أن أعلى قمة هيس (إفرست) .

وبالتحقيق يتبين أن أصل هذه الخرافة ومصدرها كتاب اليهود! الذي يتحدث عن جبل قاف الخرافي .

يقول الإمام ابن كثير في بيانه لحقيقة هذا الأمر: "وهذا – والله أعلم- من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس ، لما رأى من جواز الرواية عنهم ، مما لا يصدق ، ولا يكذب ، وعندي: أن هذا ، وأمثاله ، وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم ، كما افترى في هذه الأمة ، مع جلالة قدر علمائها ، وحفاظها ، وأئمتها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وما بالعهد من قدم"(٢).

---

(١) يراجع: دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم صـــ ٣٨٨ وما بعدها .

(٢) تفسير ابن كثير ٣٢/١ .

"أما القرآن فلم يذكر جبالاً ولا قمماً ، والحرف (ق) أحد الحروف الكثيرة التي بدئت بها سور من القرآن مثل: ص ، ن ، حم ، ولكن الصيغة المادية البحتة التي تركتها التوراة المزيفة في ذهن القوم ، وجهت ذهنهم هذا الاتجاه المادي البحت، وإذا كانت هذه خرافة منشؤها كتاب يهودي"(١).

الاحتمال الثالث: أن يكون فهم النص الديني فهماً اجتهادياً ضعيفا ، أو هو من قبيل تحميل النص ما لا يحتمل

فمن الأول: ما تمسك به بعض العلماء من القول بأن الأرض مسطحة وليست كروية استناداً على فهمهم الخاطئ لكلمة مددناها ، في تفسير قوله تعالى: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} (٢)، فتفسير {مَدَدْنَاهَا} في الآية الكريمة بمعنى بسطناها أمر بشري يحتمل فيه الصواب ، كما يحتمل فيه الخطأ ، وقد كان التفسير هاهنا خطأ ؛ فمعنى مددناها: أنك إذا سرت في أي اتجاه فيها: ستجدها ممدوة حولك في جميع الاتجاهات: أمامك وخلفك وعن يمين وشمال ، ومهما انتقلت من مكان إلى مكان فلن تجد لها حافة – أبدًا – وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت الأرض كروية ؛ فالآية دليل على من نفى كروية الأرض وليست له .

ولكن تلقف المتنكرون للأديان مثل هذه التفسيرات الخاطئة ، وأخذوا يبرزونها على أنها من حقائق الدين ؛ محاولين بذلك أن يثبتوا تناقضاً بين حقائق الدين ، وبين الحقائق التي تأتي بها الوسائل الإنسانية للبحث العلمي .

ومن الثاني: ما زعموه من أن الأجهزة العلمية الحديثة التي تقوم بتصوير ما في بطن الأم ، أذكر هو أم أنثى ، وتعرف بعض أحواله وصفاته

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم صـــ٣٨٥ .

(٢) سورة الحجر(١٩) .

ووضعه الصحي: تناقض مع الحقيقة الدينية في قوله تعالى: وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، والتي تدل على اختصاص الله تعالى بعلم ما في الأرحام ، وهذا خطأ كبير في فهم حقيقة الآية الكريمة ؛ فإن علم مثل هذا كان وارداً من قبل نزول القرآن بالاجتهاد وكثرة الخبرة .

عندها وقف العلماء وبيّنوا الفرق بين الغيب المطلق والغيب النسبي ، وإن هذا النوع ، وهو ما في الأرحام ، قد عرفته الملائكة ، وإذا أطْلع الله عليه أحدًا لم يكن غيبًا مطلقًا ، "فمثل هذا لا ينقض العلم المطلق لله في هذا الشأن ، فالله عزّ وجلّ يعلم عن الجنين قبل خلقه ، ويعلم ذرات البويضات ، وتشكلها ، وماذا سيكون منها ، ثم ما بعد ذلك وما قبله مما لا يعرف الإنسان منه شيئا ، فمعرفة البشر الجزئية لا تنفي أن الله وحده هو الذي يعلم ، كما أن معرفة الملك بالجنين وهو في بطن أمه لا تنفي أن الله وحده هو الذي يعلم كل شيء عن الجنين"(١).

وهكذا يتضح : أن كل ما يستند عليه الملحدون والعلمانيون في إيجاد التعارض بين حقائق الدين وحقائق العلم: مغالطات دينية أو علمية ؛ فلو نظرت إلى معظم ما استمسكوا به فذلك فستجده لا يخلو من أحد أمرين:

الأول: هو اعتبارنا لشيء ما حقيقة موحى بها وهي ليست كذلك .

والثاني: هو اعتبارنا لشيء ما حقيقة علمية وهو في الاصل مجرد فرض أو نظرية .

---

(١) الأساس في التفسير لسعيد حوي ٣٤٢/٨ ، ط دار السلام ، القاهرة ، سادسة ، ١٤٢٤ هـ ، وينظر أيضاً: النظريات العلمية الحديثة ، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها ، دراسة نقدية لحسن بن محمد حسن الأسمري ١٣٤/١ ، ط مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢م.

الخاتمة

بعد هذا العرض المختصر لمسألة الحقيقة الكونية بين الدين والعلم التجريبي: قد توصلت إلى النتائج الآتية:

- العلم ، والدين ، والحقيقة: ما تحققت مطابقة هذه الألفاظ للواقع فهي مترادفات لا يختلف بعضها عن بعض من حيث المعنى؛ إذ أن مبناها جميعاً على البرهان اليقيني .
- لقد جعلَ اللهُ النظرَ في ملكوتِ السماواتِ والأرض ، الذي تقومُ عليه العلومُ التجريبيّةُ من أقرب الطرق إلى إثبات العقائد ، من خلال ما تشير إليه من أمور واقعية يستطيع الإنسان تلمسها بحواسة ؛ لذا قد جعله الله طريقاً إلى الإيمانِ به ، وطريقاً إلى الإيمانِ برسولِه صلى الله عليه وسلم ، وطريقاً إلى الإيمانِ بدينِه الحقِّ ، الذي يدعو إلى العلمِ ، والعلمُ يدعو إليه .
- أهمية بحث هذه المسألة في تعميق اليقين الإيماني عند المؤمنين ، ودفع الفتن التي ألبسها الكفار ثوب العلم ، عن بلاد المسلمين ، وفى دحض محاولات التستر بالعلم لإثارة الشبهات حول الإسلام والمسلمين ، وفى دعوة غير المسلمين وتوصيل الحقائق الإسلامية إليهم على اختلاف أجناسهم وأوطانهم ، خاصة أن أهل عصرنا ممن يريدون الحق من سائر الأجناس لا يذعنون بشيء مثل إذعانهم للعلم ومنهجه وبيناته ودلائله .
- أن البشر كلما اجتهدوا للبحث عن الحقائق بعقولهم أو علومهم ، فإن ما يصلون إليه من حقائق لا يعارض الوحي إن لم يجدوا في الوحي ما يدل عليه ، وأن البشر كلما بلغ بحثهم عن الحقيقة قوةً وإتقاناً ووضوحًا ، فإنهم يقتربون أكثر من حقيقة الوحي في أموره الكونية والخلقية ؛

فالطرق الصحيحة التي تقصد أمراً واحداً لا بد أن توصل إلى غاية واحدة ونتيجة واحدة ، أو غير متناقضة على أقل تقدير، إذ تتكامل الحقيقة مما قدمت هذه الطرق من مدركات ، أو يعرف بها جزء من الحقيقة ، على قدر ما استطاعت أن تكشف منها ؛ فوسائل العلم الإنسانية، المتمثلة في الإدراك الحسي بما يرافقه من الأدوات والآلات التي ثبتت صحة شهاداتها كالملاحظة والتجربة، والمقاييس، والموازين، والكواشف المختلفة : تقدم لنا شهادة بما توصلت إليه من نتائج نحو الحقيقة ، كما إن الوحي الجامع للمعارف الدينية ، هو – أيضاً – يقدم شهادة بالحقيقة ؛ لأن برهان العقل قد أثبت لنا أن ما يخبرنا به الرسول صدق وحق .

- إنّ بإمكان المسلمين أنْ يتقدَّموا لتصحيحِ مسارِ العلمِ في العالَمِ ، ووضعِهِ في مكانِهِ الصحيحِ ، وجعلِهِ طريقاً إلى الإيمانِ باللهِ ورسولهِ ، ومصدّقاً لِما في القرآنِ ، ودليلاً على أحقِّيَّةِ الإسلامِ ، كما كان الحال في عهد من سلفنا ممن كانوا سبباً مباشراً في قيام هذه الحضارة الغربية المعاصرة ؛ فكما كانوا يهتمون بالقرآن والتفسير واللغة والحديث وغيرها من علوم الدين: فقد كانوا –أيضاً– بارعين في الطب والفلك والكيمياء والرياضيات وغيرها من العلوم الطبيعية والعقلية .
- إذا خرج العلم عن دائرته (دائرة الحقائق القطعية) وأدلى برأي فيجب أن نحترس منه ولا نقبل كل قول من غير تمحيص ؛ لأن العالم أحياناً يجنح إلى تصديق رأيه حتى ولو لم يتثبت من صحته ، لذا قالوا: لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة .
- إن القــرآن الكريم هو معجــزة الله الخالدة في كل زمان ومكان ؛ فكما

- أعجز اصحاب الفصاحة والبلاغة والبيان - قديماً- بفصاحته وبلاغته وبيانه فها هو اليوم يثبت إعجازه بين يدي أرباب العلوم التجريبية فيما يكشفوه من حقائق كونية ، كان القرآن الكريم قد سبقهم إليها ودل عليها .
- من الغفلة الكبيرة والجهل بأصول المعرفة ، إقامة الصراع والنزاع بين ما يأتي من المعارف الكونية عن طريق الدين ، وما يأتي منها عن طريق الوسائل الإنسانية ، مع أن هذه وتلك شواهد إلهية أقامها الله بين يدي الإنسان ليعرف بها الحقيقة ، وهل يشهد الله شهادتين متناقضتين أو يضللنا سبحانه فيضع لنا وسيلتين تعطي كل منهما نتيجة مناقضة للأخرى في موضع واحد ؟
- استحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية ، فإذا حصل تعارض بين حقيقة قرآنية وما يعتقد أنه حقيقة علمية ، فيجب تمحيص هذه الحقيقة العلمية ، التي غالبا ما يثبت أنها ليست حقيقة ، بل هي نظرية ، وإن أي خلاف ناشئ فهو حتماً ناتج من أحد الأمرين: إما خطأ في فهم وشرح النص ، وإما جهل علمي .
- إطلاق القول بالتعارض بين حقائق العلم وحقائق الدين جهل عظيم بأصول وضوابط كل منهما ، فكان لابد من رفع التعميم والإجمال ، فلابد أن نفهم ماذا يُقصد بالدين وماذا يقصد بالعلم ؛ لأن الدين هنا أول ما أطلق كان يراد به النصرانية ، لمَّا كان ظهور هذه المشكلة في مجتمع نصراني في الأساس ؛ فلا يصح اتخاذ دين واحد ذريعة للتعميم إلى كل دين إلا إذا ثبت أن كل الأديان فيها هذه المعارضة ، كما أن العلم هنا ليس درجة واحدة بل هو مستويات .
- الملحدون وضعوا الأديان كلها صحيحها وباطلها واعتبرها جبهة واحدة

ضد العلم ، ثم وجهوا طعناتهم ضد ما في بعضها من باطل ، ثم استنتجوا من ذلك أنها جميعاً أديان باطلة ، باعتبارها جبهة دينية واحدة ، وقد وجدوا في بعضها ما هو باطل .

- إننا بحاجة في هذا العصر لمؤلَّف علمي ، تؤلفه مجموعة من العلماء في الشريعة وفي التفسير وفي اللغة وفي العلوم التجريبية الحديثة ، يجتمعون ويقررون ما يوافق الحقائق القرآنية ذات الدلالة الصريحة ، ويضمون إليها الحقائق العلمية الثابتة التي استقر قرارها وأمن ثبوت زيفها .

فهرس أهم المصادر والمراجع

- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد بن عبد الرحمن ابن سليمان الرومي ، ط إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، السعودية ، أولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية لمحمود أحمد شوق ، ط دار الفكر العربي ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .
- الأديان والمذاهب تأليف: مجموعة من أساتذة جامعة المدينة العالمية ، ط جامعة المدينة العالمية ، بدون بيانات أخرى .
- الأساس في التفسير لسعيد حوي ، ط دار السلام ، القاهرة ، سادسة ، ١٤٢٤هـ .
- الاستقراء والمنهج العلمي لمحمود فهمي زيدان، ط دار الجامعات المصرية ، عام ١٩٧٧ م .
- الإسلام والنظر في آيات الله الكونية ، لمحمد عبد الله الشرقاوي ، ط رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة .
- الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة للدكتور/ محمد البهي ، ط مكتبة وهبة، القاهرة ، مصر، الطبعة: الأولى ، عام ١٤٠١ هـ /١٩٨١ م .
- أصول الدعوة وطرقها لمجموعة من المؤلفين لمناهج جامعة المدينة العالمية .
- أطوار الجنين ونفخ الروح للدكتور عبدالجواد الصاوي ، من منشورات مجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، عدد ٨ ، عام ١٤٢١ هـ .

- الإعجاز العلمي إلى أين ؟ ، مقالات تقويمية للإعجاز العلمي للدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ، ط دار ابن الجوزي ، ثانية ، ١٤٣٣ هـ .
- الإعجاز العلمي في القرآن ، مناهج جامعة المدينة العالمية ، مرحلة الماجستير، ط جامعة المدينة العالمية .
- الإنسان بين الدين والعلم لشوقي ابو خليل ، ط دار الفكر ، ثانية ، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م .
- البحار والمحيطات لـ أن لوفيفر باليدييه ، ترجمة: زينب عبد المنعم ، ط مكتبة الملك فهد الوطنية ، أولى ، ١٤٣٦ ه/ ٢٠١٥ م .
- البحث العلمى أساسياته النظرية وممارسته العملية لرجاء وحيد دويدري، ط دار الفكر، دمشق ، سورية ، الطبعة: الأولى ، جمادى الآخرة عام ١٤٢١ هـ/ سبتمبر ٢٠٠٠م .
- البحر المحيط في التفسير لابي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين ، الأندلسي ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، ط دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ .
- البحرين والبرزخ الحاجز بينهما ، بحث للأستاذ الدكتور مصطفى محمد الجمال ، مجلة الإعجاز ، العدد ٣٥ .
- بين الدين والعلم ، تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى إزاء علوم الفلك والجغرافيا والنشوء لـ أندرو ديكسون وايت ، ترجمة: إسماعيل مظهر ، ط مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ، ط مكتبة الدراسات الفلسفية ، خامسة، بدون تاريخ .

- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجـاني ، ضـبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشـر ، ط دار الكتـب العلميـة بيروت ، لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م .
- تفسير أبو القاسم الحسين بن محمد ، المعروف بالراغب الأصـفهانى ، تحقيق ودراسة: د محمد عبد العزيز بسيوني ، ط كلية الآداب ، جامعـة طنطا ، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م .
- تفسير البغوي ، تحقيق: محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضـميرية ، سليمان مسلم الحـرش ، ط دار طيبـة للنشـر والتوزيـع ، رابعـة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧ م .
- تفسير الشعراوي ، ط مطابع أخبار اليوم، بدون بيانات أخرى .
- تفسير الطبري ط دار التربية والتراث ، مكة المكرمة ، بـدون تـاريخ نشر.
- تفسير أبن كثير ، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ، ط دار طيبة للنشـر والتوزيع ، ثانية ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- تفسير القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبـراهيم أطفـيش ، ط دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ثانية ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
- تفسير الكشاف للزمخشري ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، ثالثـة ، ١٤٠٧ هـ .
- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل للباقلاني ، تحقيق: عماد الدين أحمـد حيدر ، ط مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنـان ، الطبعـة: الأولـى ، عـام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين ، المناوي ، ط عالم الكتب ،

القاهرة ، أولى ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠ م .

- جغرافيا البحار والمحيطات لطلعت أحمد محمد وحورية محمد حسين ، ط دار المعرفة الجامعية .
- الحقيقة ، ضمن سلسلة دفاتر فلسفية ، ترجمة: محمد سبيلا ، وعبد السلام ابن عبد العالي ، ط درا توبقال للنشر والتوزيع ، المغرب ، ثانية ، ٢٠٠٥م .
- حوار الأديان أمام القضاء العالمي (الإنسان والدين) محمد الحسيني إسماعيل ، ط مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، أولى ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
- خلق الإنسان بين الطب والقرآن للدكتور محمد علي البار ، ط الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، رابعة، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م .
- دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر ه والرد عليها لعبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ، ط دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، أولى ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م .
- الدين لمحمد عبد الله دراز ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، ط دار القلم ، الكويت ، بدون بيانات أخرى .
- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق: خليل شحادة ، ط دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الثانية ، عام ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- الصحاح للجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ، رابعة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- صراع مع الملاحدة حتى العظم لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ، ط دار القلم ، دمشق ، خامسة ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

- علم الجنين الطبي لعلي عباس زليخة ، ط دار طلاس ، دمشق ، أولى ، ٢٠٠٦ م .
- فتح القدير للشوكاني ، اليمني ، ط دار ابن كثير ، دمشق ، أولى ، عام ١٤١٤ هـ .
- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال للوليد ابن رشد الحفيد، دراسة وتحقيق: محمد عمارة ، ط دار المعارف ، الطبعة: الثانية.
- في سنن الله الكونية للغمراوي ، ط مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، أولى ١٣٥٥هـ /١٩٣٦ م .
- القرآن وإعجازه العلمي لمحمد إسماعيل إبراهيم ، ط دار الثقافة العربية للطباعة .
- قصة الحضارة ول ديورَانت ، ترجمة: زكي نجيب محمُود وآخرون ، ط دار الجيل ، بيروت .
- كشف الظنون لمصطفى حاجي خليفة ، ط مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٤١م .
- كواشف زيوف لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة ، الميداني الدمشقي ، ط دار القلم ، دمشق ، ثانية ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .
- لسان العرب لابن منظور ، ط دار صادر ، بيروت ، الطبعة: الثالثة ، عام ١٤١٤ هـ .
- لمحات في الثقافة الإسلامية لعمر عودة الخطيب ، ط مؤسسة الرسالة ، خامسة عشرة ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م .
- مجلة البيان ، تصدر عن المنتدى الإسلامي ، العدد ١٥٩ .

- مختار الصحاح لزين الدين ، الرازي ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، ط المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا ، الطبعة: الخامسة ، عام١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .
- المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة لمحمد محمود محمدين ، طه عثمان الفراء ، ط دار المريخ ، رابعة .
- المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها لغالب بن علي عواجي ، ط المكتبة العصرية الذهبية ، جده ، أولى ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م .
- مذهب النشوء والارتقاء، لمنيرة على الغاياتي ، تقديم محمد البهي ، ط دار المعارف ، مصر عام ١٣٩٥هـ .
- مرج المياه كما تدل عليه قرائن الفحص المجهري للدكتور عبد الإله مصباح ، مجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، العدد الأربعون .
- المستدرك على الصحيحين ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة: الأولى ، ١٤١١ / ١٩٩٠ .
- المصباح المنير للحموي ، ط المكتبة العلمية ، بيروت .
- المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم للأستاذ الدكتور علي جمعة محمد (مفتي الديار المصرية) ، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، الطبعة: الأولى ، عام ١٤١٧ هـ /١٩٩٦ م .
- معجزة القرآن للشيخ محمد متولي الشعراوي ، ط المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهر ، أولى، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم لمحمد حسن حسن جبل ط مكتبة الآداب ، القاهرة ، أولى ، ٢٠١٠ م .

- معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد بمساعدة فريق عمل ، ط عالم الكتب ، أولى ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م .
- معنى الحقيقة لويليم جيمس ، ترجمة أحمد الأنصاري ، مراجعة: حسن حنفي ، ط المركز القومي للترجمة ، الجبلاية ، مصر ، عام ٢٠٠٨م .
- مفاتيح الغيب للرازي ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ثالثة ، ١٤٢٠ هـ .
- مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، ط دار الفكر ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، سنة: ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ملامح الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مجال علوم البحار للدكتور أمين مصطفى غيث ، والدكتور محمد صالح بكري الحريري ، مجلة الإعجاز العلمي ، عدد ٣٨ .
- منزلة الحقيقة في نظرية المعرفة الدينية دراسة في مقاربة محمد أركون للعقل الإسلامي، بحث لضرار بني ياسين ، ط مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، العدد: ٤٢ ، ملحق: ١ ، عام ٢٠١٥ .
- المواقف لعضد الدين الإيجي ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، ط دار الجيل ، لبنان ، بيروت ، أولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة للدكتور محمد راتب النابلسي، ط دار المكتبي ، سورية ، ثانية ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .
- الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من العلماء المتخصصين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ط وزارة الاوقاف ، مصر،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢ م .
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة تأليف: الندوة العالمية

للشباب الإسلامي ، إشراف وتخطيط ومراجعة: د مانع بن حماد الجهني، ط دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، رابعة ، ١٤٢٠هـ .

- **موسوعة لالاند الفلسفية لأندريه لالاند ، تعريب: خليل أحمد خليل بإشراف وتعهد: أحمد عويدات ، ط منشورات عويدات ، بيروت ، وباريس ، الطبعة: الثانية ، عام ٢٠٠١ م .**
- **موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام لأحمد بن سليمان أيوب ، ونخبة من الباحثين ، إشراف د سليمان الدريع ، ط إيلاف الدولية للنشر والتوزيع ، أولى، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م .**
- **النظريات العلمية الحديثة ، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها لحسن بن محمد حسن الأسمري ، ط مركز التأصيل للدراسات والبحوث ، جدة ، السعودية ، أولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢ م .**
- **نقد الفكر الديني لصادق العظم ، ط دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ثانية ، ١٩٧٠م .**
- **النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين ابن الأثير ، ط المكتبة العلمية ، بيروت ، عام ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ، ومحمود محمد الطناحي .**
- **الوحي والإنسان لمحمد السيد الجليند ، ط دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة .**
- **وصف التخلق البشري للبروفيسور كيث مور ، مجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة العدد الثاني ، ١٤١٦ هـ /١٩٩٦ م .**

******

SOURCE AND REFERENCES

- Interpretation trends in the fourteenth century, by Dr. Fahd bin Abd al-Rahman Ibn Suleiman al-Roumi, Departments of Scientific Research, Ifta, Advocacy and Guidance, Saudi Arabia, First 1407 AH / 1986 AD.
- Modern trends in planning school curricula in the light of Islamic directions by Mahmoud Ahmed Shawq, Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1421 AH / 2001 AD.
- Religions and Doctrines Written by: A group of professors from Al-Madinah International University, Al-Madinah International University, without other data.
- The Basis of Interpretation by Saeed Hawi, Dar Al-Salaam, Cairo, Sixth, 1424 AH.
- Induction and the Scientific Method, by Mahmoud Fahmy Zeidan, Egyptian Universities House, 1977 AD.
- Islam and Looking at the Universal Signs of God, by Muhammad Abdullah Al-Sharqawi, The Muslim World League, Makkah Al-Mukarramah.
- Islam and Confronting Destructive Doctrines, by Dr. Muhammad Al-Bahi, Wahba Library, Cairo, Egypt, Edition: First, 1401 AH / 1981 AD.
- - The origins of the call and its methods for a group of authors of the curricula of Al-Madinah International University.
- The Phases of the Fetus and the Breathing of the Soul by Dr. Abdul-Jawad Al-Sawy, from the publications of the Journal of Scientific Miracles in the Qur'an and Sunnah, No. 8, 1421 AH.
- Where is the scientific miracle? Evaluation articles on the scientific miracles of Dr. Musaed bin Suleiman bin Nasser Al-Tayyar, Dar Ibn Al-Jawzi, second edition, 1433 AH.
- Scientific Miracles in the Qur'an, Al-Madinah International

University Curricula, Master's Degree, Al-Madinah International University.
- Man between Religion and Science by Shawqi Abu Khalil, Dar Al-Fikr, second edition, 1397 AH / 1977 AD.
- Seas and Oceans, by Anne Lefevre Paladier, translated by: Zainab Abdel Moneim, I. King Fahd National Library, Oula, 1436 AH / 2015 AD.
- Scientific Research, Its Theoretical Basics and its Practical Practice, Raja Waheed Dowidri, Dar Al-Fikr, Damascus, Syria, Edition: First, Jumada Al-Akhirah 1421 AH / September 2000 AD.
- Al-Bahr Al-Muhit fi Al-Tafsir by Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Atheer Al-Din, Al-Andalusi, investigated by: Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr, Beirut, 1420 AH.
- Bahrain and the Isthmus, the barrier between them, research by Prof. Dr. Mustafa Muhammad Al-Jammal, Al-Ijaz Magazine, No. 35.
- Between religion and science, the history of the conflict between them in the Middle Ages against astronomy, geography, and evolution, by Andrew Dickson White, translated by: Ismail Mazhar, I. Hindawi Institute for Education and Culture, Cairo, undated.
- A History of Modern Philosophy by Youssef Karam, Fifth Edition, Library of Philosophical Studies, undated.
- Definitions of Ali bin Muhammad bin Ali Al-Zain Al-Sharif Al-Jerjani, edited and corrected by a group of scholars under the supervision of the publisher, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut, Lebanon, Edition: First 1403 AH / 1983AD.
- Interpretation of Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad, known as al-Ragheb al-Isfahani, investigation and study: Dr. Muhammad Abd al-Aziz Bassiouni, I, Faculty of Arts, Tanta University, first edition: 1420 AH / 1999 AD.
- Tafsir Al-Baghawi, investigation: Muhammad Abdullah Al-Nimr, Othman Juma'a Dhamiriya, Suleiman Muslim Al-

Harsh, Dar Taiba for Publishing and Distribution, Raba'a, 1417 AH / 1997 AD.

- Tafsir Al-Shaarawy, I, Akhbar Al-Youm Press, without other data.
- Tafsir al-Tabari, Dar Education and Heritage, Makkah al-Mukarramah, no publication date.
- Interpretation of Ibn Kathir, investigation: Sami bin Muhammad Al-Salama, Dar Taiba for Publishing and Distribution, second, 1420 AH / 1999 AD.
- Interpretation of Al-Qurtubi, achieved by: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Atfayesh, Dar Al-Kutub Al-Masryah, Cairo, second edition, 1384 AH / 1964 AD.
- Tafsir al-Kashshaf by al-Zamakhshari, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, third, 1407 AH.
- Preface to the first in summarizing the evidence by Al-Baqlani, achieved by: Imad Al-Din Ahmed Haidar, I. The Cultural Book Foundation, Lebanon, the first edition, 1407 AH / 1987 AD.
- Arrest on Definitions Tasks by Zain al-Din, Al-Manawi, ed. Alam Al-Kutub, Cairo, First, 1410 AH / 1990 AD.
- Geography of the Seas and Oceans, by Talaat Ahmad Muhammad and Houria Muhammad Husayn, Dar Al-Maarifa University.
- The Truth, within a series of philosophical notebooks, translated by: Muhammad Sabila, and Abd al-Salam Ibn Abd al-Aali, Dar Toubkal for Publishing and Distribution, Morocco, again, 2005.
- Interfaith Dialogue before the International Judiciary (Human and Religion) Muhammad Al-Husseini Ismail, I. Wahba Library, Cairo, Egypt, First, 1424 AH / 2004 AD.
- The creation of man between medicine and the Qur'an, by Dr. Muhammad Ali Al-Bar, Saudi House for Publishing and Distribution, Jeddah, Rabaa, 1403 AH / 1983 AD.
- Claims of the Appellants in the Noble Qur'an in the

fourteenth century AH and their response to them, by Abd al-Muhsin bin Zain bin Mutaib al-Mutairi, Dar al-Bashaer al-Islamiyyah, Beirut, Lebanon, First, 1427 AH / 2006 AD.

- Al-Din by Muhammad Abdullah Diraz, Paving Research for the Study of the History of Religions, Dar Al-Qalam, Kuwait, without other data.
- Introduction by Ibn Khaldoun, investigation: Khalil Shehadeh, Dar Al-Fikr, Beirut, second edition, 1408 AH / 1988 AD.
- Al-Sahah Al-Gohari, investigative: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, Rabaa, 1407 AH / 1987 AD.
- Struggle with atheists to the bone, by Abd al-Rahman ibn Hasan Habanka al-Maidani al-Dimashqi, Dar al-Qalam, Damascus, fifth, 1412 AH / 1992 AD.
- Medical Embryology by Ali Abbas Zulekha, Dar Tlass, Damascus, Oula, 2006 AD.
- Fath al-Qadir by al-Shawkani, al-Yamani, Dar Ibn Katheer, Damascus, Oula, 1414 AH.
- Chapter of the article between wisdom and Sharia from the communication of Al-Walid Ibn Rushd the grandson, study and investigation: Muhammad Imara, Dar Al-Maaref, Edition: Second.
- In Sunan Allah Al-Kunism by Al-Ghamrawi, i. Authoring and Translation Committee Press, First 1355 AH/1936 AD.
- The Qur’an and its Scientific Miracles, by Muhammad Ismail Ibrahim, Dar Al-Thaqafa Al-Arabiya for printing.
- The Story of Civilization, Will Durant, translated by: Zaki Najib Mahmoud and others, Dar Al-Jeel, Beirut.
- Uncovering Suspicions by Mustafa Haji Khalifa, Al-Muthanna Library, Baghdad, 1941 AD.
- Zeyov detectors by Abd al-Rahman bin Hassan Habanka, al-Maydani al-Dimashqi, Dar al-Qalam, Damascus, again, 1412 AH / 1991 AD.

- Lisan al-Arab by Ibn Manzur, Dar Sader, Beirut, third edition, 1414 AH.
- Glimpses into Islamic Culture by Omar Odeh Al-Khatib, Al-Resala Foundation, I.
- Fifteen 1425 AH / 2004 AD.
- Al-Bayan Magazine, published by the Islamic Forum, No. 159.
- Mukhtar Al-Sahah by Zain Al-Din, Al-Razi, investigation: Youssef Al-Sheikh Muhammad, I. Al-Mataba Al-Asriya, Beirut, Saida, fifth edition, 1420 AH / 1999 AD.
- Introduction to Geography and Environment by Muhammad Mahmoud Muhammadin, Taha Othman Al-Farra, Dar Al-Marikh, fourth edition.
- Contemporary Intellectual Doctrines and Their Role in Societies and the Muslim's Attitude towards them by Ghaleb bin Ali Awaji, Al-Asriyya Al-Dhahabiya Library, Jeddah, First 1427 AH / 2006 AD.
- The Doctrine of Evolution, by Munira Ali Al-Gayati, presented by Muhammad Al-Bahi, Dar Al-Maaref, Egypt, 1395 AH.
- Marj al-Waqiah as indicated by the evidence of microscopic examination by Dr. Abd al-Ilah Misbah, Journal of Scientific Miracles in the Qur'an and Sunnah, Issue 40.
- Al-Mustadrak on the Two Sahihs, achieved by: Mustafa Abdel Qader Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut Edition: First, 1411/1990.
- Al-Misbah Al-Munir Al-Hamwi, Scientific Library, Beirut.
- The Fundamentalist Terminology and the Problem of Concepts by Professor Dr. Ali Gomaa Muhammad (Mufti of the Egyptian Homes), i. International Institute of Islamic Thought, Cairo, Edition: First, 1417 AH / 1996 AD.
- The Miracle of the Qur'an by Sheikh Muhammad Metwally Al-Shaarawi, Al-Mukhtar Al-Islami for Printing, Publishing

and Distribution, Al-Qaher, Oula, 1398 AH / 1978 AD.
- The original etymological lexicon of the words of the Noble Qur'an by Muhammad Hassan Hassan Jabal T Library of Arts, Cairo, Oula, 2010 AD.
- Dictionary of the Arabic language by Ahmed Mukhtar Abdel Hamid to a working group, 1429 AH / 2008 AD.
- The Meaning of Truth, by William James, translated by Ahmed Al-Ansari, revised by: Hassan Hanafi, The National Center for Translation, Gabalia, Egypt, 2008 AD.
- Keys to the Unseen by Al-Razi, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, third, 1420 AH.
- Language Standards by Ahmad bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, Dar Al-Fikr, investigation: Abdul Salam Muhammad Harun, year: 1399 AH / 1979 AD.
- Features of scientific miracles in the Noble Qur'an in the field of marine sciences by Dr. Amin Mustafa Ghaith and Dr. Muhammad Saleh Bakri Al-Hariri, Journal of Scientific Miracles, No. 38.
- The status of truth in the theory of religious knowledge, a study in Muhammad Arkoun's approach to the Islamic mind, research by Dirar Bani Yassin, Journal of the College of Arts, University of Jordan, Issue: 42, Supplement: 1, 2015
- Positions by Adud al-Din al-Iji, achieved by: Abd al-Rahman Amira, Dar al-Jeel, Lebanon, Beirut, Oula, 1417 AH / 1997 AD.
- Encyclopedia of Scientific Miracles in the Qur'an and Sunnah by Dr. Muhammad Ratib Al-Nabulsi, Dar Al-Maktabi, Syria, second, 1426 AH / 2005 AD.
- The Specialized Qur'anic Encyclopedia of a Group of Specialized Scholars, The Supreme Council for Islamic Affairs, Ministry of Endowments, Egypt, 1423 AH/2002AD.
- The Facilitated Encyclopedia of Contemporary Religions and Doctrines Written by: The International Symposium

for Muslim Youth, Supervision, Planning and Review: Dr. Mani' Bin Hammad Al-Juhani, Dar Al-Nadwa International for Printing, Publishing and Distribution, Rabaa, 1420 AH.

- Laland's Philosophical Encyclopedia by Andre Laland, Arabization: Khalil Ahmed Khalil, under the supervision and undertaking: Ahmed Oweidat, I. Oweidat Publications, Beirut, and Paris, Edition: Second, 2001 AD.
- Encyclopedia of the merits of Islam and refutation of the suspicions of libel by Ahmed bin Suleiman Ayoub, and a group of researchers, supervised by Dr. Suleiman Al-Durai, I El٥af International for Publishing and Distribution, First, 1436 AH / 2015 AD.
- Modern scientific theories, their intellectual career and the method of Arab Western thought in dealing with them, by Hassan bin Muhammad Hassan Al-Asmari, I, Rooting Center for Studies and Research, Jeddah, Saudi Arabia, First, 1433 AH / 2012 AD.
- Criticism of Religious Thought by Sadeq Al-Azm, Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing, Beirut, again, 1970 AD.
- The End in Gharib Hadith and Athar by Majd Al-Din Ibn Al-Atheer, The Scientific Library, Beirut, 1399 AH / 1979 AD, investigated by: Taher Ahmad Al-Zawi and Mahmoud Muhammad Al-Tanahi.
- The Revelation and the Human, by Muhammad Al-Sayyid Al-Glind, Dar Qubaa for Printing and Distribution, Cairo.
- Description of Human Creation by Professor Keith Journal of Scientific Miracles in the Qur'an and Sunnah No. 2, 1416 AH / 1996 AD.

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله